This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

BA 'ASHAN

SHARH...BA 'ASHAN

Digitized by Google

32101 064293374

شرح العلامة الفاضل الانسان الكامل صاحب المعارف البواهر
الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المعروف بباعشن
المسمى بالبيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه
وحقائق التوحيد على أنس الوحيد ونزهة
المسترشد من كلام العارف بمولاه
سيدنا ومولانا أبي مدين
رحمه الله تعالى
وأرضاه

Digitized by Google

(RECAP)
2276
.9045
.566

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلية ذاته المجيدة صفاته القديمة أسماؤه وآياته الظاهرة أفعاله الباهرة أنواره المتصرفة أقداره الممكنة معانيه لما خلق من مبانيه فسبحان من لا أرض ولا سماء تكتنفه وتحويه ولا عطلت منه كما هو في كل شيء ولا شيء من الاشياء فيه (أحمده) حمدا منه بدا والى صفة الشكر يعود وأثنى عليه ثناء لا يحصى متعلقا بصفة الشكر غير معدود وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مالها حدود متعلقة بذاته العلية مشتملة على ذرات الوجود وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف ما في الوجود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة متصلة الوصل مالها حدود متلألئة الانوار في كل الاقطار قائمة بذات المعبود من غير مواصلة ولا مفاصلة ما بين شاهد ومشهود فلو واصلت لما زجت ولو داخلت لحلت ولو ازفت لعطلت ولتحصرت فبقي القول فيها عبد وقف تحت حجر معبود لا شامخ رافع ولا دان متواضع عبد أريب وفي بالعهود صلى الله عليه وعلى آله ما أشرق قمر التوحيد وتلألأت كواكب السعود وعلى من تابعه وبايعه وصاحبه من الانصار والجنود وعلى من أقام سنته من يومنا هذا الى اليوم الموعود تمت خطبة لم يوجد مثلها في الخطب وانها لتصلح أن تكتب بماء الذهب لما فيها من البركة العظيمة ومن المعاني القويمة التي هي أعز من الكبريت الاحمر ومن النور اذا أسفر وصف لصفة قديمة متعلقة بذات كريمة المراد بها خطبة شرح من الشروح يحل عقد ألفاظ عظيمة أحكمها أبو مدين شيخ الشيوخ

Digitized by Google

اسمها (أنس الوحيد ونزهة المريد) وأتبعتها بشرح البيان والمزيد يشتمل على معانى التنزيه وحقائق التوحيد ﴿(قوله رضى الله عنه الحق سبحانه مطلع على السرائر) أى بما اكتنفها من النيات والاخبار على متقلباتها فى الخير والاشرار فما تنوى نية الا وهو محدثها فكيف لا يعلم بها فى وجودها ان كانت خيرا فهو عليها رقيب وان كانت شرا فهو عليها حسيب المبدئ لا يعزب عنه ما أبدى والعليم بخفى الخفى فى باطن الضلال والهدى لا شئ من معلوماته أقرب اليه من شئ من غير ان يكون فى شئ أو يكون فيه شئ فسبحان من يعلم السر وأخفى يعلم خفيات الاسرار بعلمه القديم وهو منزه على ما عليه كان بلا استعداد منه للعيان ومن غير تلفت لا الى الشمال ولا الى الايمان ولا الى علو ولا الى دنو ولا يشغله شان عن شان سميع بصير قدير عليم لا يسمع بآذان ولا يبصر بأعيان تنفذ قدرته لا باآلة تسوى كن فكان عليم بما أخفت السرائر قبل تحريك اللسان وقبل أن تمشى الاقدام وتحرك الجوارح وتبطش البدان (قوله والظواهر) بما عملت من الاعمال وفعلت من الافعال من الهدى أو الضلال لانه العليم بمرادها فى علمها وعملها وبما تريد من كسبها واكتسابها والكسب هو العمل من صواب أو خطا فيجازى على الصواب ثوابا ويجازى على الخطا عقابا ولا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه لكن يفى بوعده ولا ينقض عهده من عمل مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره (قوله فى كل نفس وحال) اما النفس فهو النسيم واما الحال فهو ما جرى فيه واما الجارى فيه فهو النية واما النية فهى ما حركت أو سكنت فى أوقاتها من الاسبوع والايام لا يعزب عنه ما فعلته فى وقت دون وقت ولا فى حال دون حال ولا فى نفس دون نفس يفرق فى انفاسك ان طلعت بالخير ذلك وان طلعت بالشر فعليك وعلى جوارحك وأعضائك فى سرك وفى نجواك لا يشغله ذا عن ذاك ولا ما هنا عما هناك ميسر لكل على ما فى حاله من الهدى أو الجهالة لا تشغله هذه المسئلة عن تلك المشكلة لقوله فى الحديث القدسى أنا عند حسن ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وايالك والظن الردى الذى لا يليق بجمال الخير والهدى فان بارئك عليم بكل حالة فيك على سرك وعلى نيتك يجازيك والظن الجميل هو أن تستقيم على حده لا تميل ﴿ثم قال المصنف رضى الله عنه (فأيما قلب يراه مؤثرا له) بالقيام على الحدود على ما جاء به الشارع مؤثرا الحق على الباطل لا يتعدى على الحدود الشرعية قائما على سننها والفرضية فهذا قيام أوجبه النقل وقيام ثان أوجبه العقل وهو القيام بالشهود يرى الله حاضرا من غير صروف ولا حدود ولا حالا فى شئ ولا فيه شئ حال من الوجود ولا معطلا لشئ يتمكن الممكنات فى النزول والصعود والقلب المستقيم مؤثر المنزها له عن كل حال مستغنيا به عن كل مقام كما اصطفاه لرؤيته ووضع فيه محبته بقوله يحبهم ويحبونه فجعل قلوبهم محلا لحبه وجعل عقولهم محلا لشهوده فالمراد كل المراد أن يغيب حبهم فى حبه وقربهم فى قربه ورؤيتهم فى رؤيته فهذا هو الرعاية بعين العناية وكمال الولاية بعين الحماية ثم قال رضى الله عنه (حفظه من طوارئ المحن ومضلات الفتن) أى حفظ خشية ومراقبة من طوارئ النفس الامارة بصيرة نور مستودع فى القلب شارق فى الصدور بدوام الحضور بحيث لم يغب الحضور فمتى أشرق نوره زالت الظلمة واحتفظ العبد وانفرجت الغمة بحفظه تزول

الفتن ماظهر منها ومابطن شرح الصدور بحلاوة ذكره وجلا رانها بفكره وأمدها بالحياة بزيت سره ولا تستوى مع وضع الوزر وشرح الصدر محنة كما لا يستوى مع رفع الذكر فتنة كذلك لا يستوى فى الجنة نار ولا فى النار جنة لقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور فمن حفظه من المحن عاش عيشا هنيا ومن سلمه من الفتن شرب منشرب ارويا ومن افتتن زل قدمه فهو يزعم انه يعبد الله وهواه صنمه ومن حفظه ثبت قدمه وراه حاضرا فآثره على هواه فلم يزل مراقبا له حيث شاء سلم القياد اليه فلا يتكل الا عليه فى أمر دينه ودنياه لانه ترك هوى نفسه واختار هوى مولاه فهذا هو الحفظ المتعين والحق المتبرهن والنظر بلا احتجاب والمناجاة بلا لفظ وجواب فسبحان من دحرت مناجاته الافهام حتى تهتكت الحجب والاستار وأشرقت شموس اليقين بسطوات الانوار منه ومنه وكرامة على المصطفين الاخيار قل الحمد لله وسلام على الذين اصطفى الله انتهى وهو بحيث جامع الذكر والتوحيد واليقين والشهود والتنزيه وبالله التوفيق ﴿الحق سبحانه وتعالى يجرى على ألسنة علماء كل زمان ما يليق باهله﴾ يعنى على حسب ظنون العلماء وأهل زمانهم يجرى على ألسنتهم ما أكنته أحوالهم على كيف ما كان فيها من علم أو من جهل لان العلماء مختلفون فى امامتهم كاختلاف الانبياء وقومهم كامامة فرعون وعلمه الردى بقوله ما علمت لكم من اله غيرى فكذبوا موسى بالرسالة حين كذبه آل فرعون وأقبلوا على الجهالة فمن لم يزن لفظ العالم وأفعاله اللوازم وأحواله القوائم بعرضها على القسطاس ليعلم أهو صادق أو هو ظالم قبل أن لا تركبه المظالم رب عالم غير عالم وامام غير موثوق فمن تابعه كيف يسلم اما سمعت قوله فى أئمة آل فرعون وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين فهذا غير لائق متاف للحقائق لكن الحكم للخالق من يشا الله يضله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم والعلماء بالله هم ورثة الانبياء فكل ارث هو راجع الى وارثه كذا كل زرع يحصده زارعه فالعلم الصحيح هو من الحق الصريح كنبوة موسى ومن تابعه ونصره وشايعه اما سمعت كلام الله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴿تنبيه﴾ اعلم ان حقيقة العلم بالله هى الاشارة الى الله على ما أمر به والاجتناب عما نهى عنه فهذا وجهه نقلا وأما وجهه عقلا وذوقا فهو القيام بحقوق الباطن من الادناس وصفاء اللطائف من كدورات الاحساس ودوام الشرب بصفاء الكأس فالكأس هو الذكر والشراب هو النور والسقاء هو سر جامع الحضور والساقى هو الله والسقاء هو أبو عبد الله والشاربون هم أولياء الله فهم صاح غير سكران وهو عامى ساكن القلب مارمقت روحه هذا الشراب ولا تعلقت بهذا النسب ومنهم شارب ذاهل جار شرابه فخامر عقله حتى تغلط حسابه فانها سكران مازج شرابه خمر الشيطان حتى غلا فى دينه فاشار الى محو الطينة وزعم ان الحق فيه وان سره لسر الحق يحويه فهذا هو مذهب أهل الحلول القائلين بالاتحاد والوحدة لانهم حصروا الحق فيهم حتى قالوا انه منهم ولهم وبهم فعطلوا قدرة الله المشتملة على الكائنات على أهل الارض والسموات التى أضلت وأهدت وخلقت ورزقت وأحيت وأماتت

فهؤلاء

فهؤلاء أشد من فرعون جهلا حيث قال أنا ربكم الاعلى لان فرعون بذلك مستظهر وأما هؤلاء فيخفون القرعنة و يظهرون وهم بالاسلام متسترون لكنني أنبه على ذلك نصحا لوجه الله ونفعا لعباد الله فاقول فقه بالله ان من كانت له قدرة لزمه ان يخلق الفطرة ومن كان في الآخرة يمحو الذنوب لزمه في الدنيا أن يعلم ما في الغيوب ويدبر الرزق و يستر العيوب ومن كان كل الاشياء في يده لزمه اذا عدم على الخلق شئ أوجده فليس هذا من شيم العبودية بل القائل بهذا مدعي ربوبية لاستحالته بالدلائل القطعية ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله تنزه عن التشبيه والشريك والقرين الدلائل والبراهين فليس معه ند ولا له ضد قل هو الله أحد لا شريك له الله الصمد لانه يفتقر اليه من أوجده لم يلد لم يكن منه شئ ولم يولد لم يكن من شئ من الاسباب جل ربنا وعلا عن المناسبات والانساب ولم يكن له كفوا أحد مما خلق من الاحداث جوهرها وعرضها فكيف يكون كفأه وهو قادرها ومقدرها خلافا للمتقرعنة الذين ينسبون القدرة انها تكون لهم في شئ من الافعال والاقوال والاحوال والشكوك والاوهام والعمل والجهل والعلم والوجود والعدم والحركة والسكون فيقولون انهم يقدرون على هذا فيهم وفي غيرهم فهذا باطل في طريق العبودية القائمة على الكتاب والسنة هذا مذهب القدرية ومن تابعهم فيه ممن تجسر أعلى الله من الصوفية فلا فرق عندي بين فرقة القدرية و بين من تزيا من الصوفية بازياء القرعونية فيقال لهم رداعليهم اذا كنتم تنسبون القدرة لكم في أفعالكم وانكم تقدرون على ذلك فيكم فأين قدرتكم قبل وجودكم وأين هي في وجودكم وكيف تكون بعد وجودكم فان من يطرأ عليه الحدث فليس بقدير ومن يفوته العلم فليس ببصير ومن لم يحي ويميت فليس بخبير ومن لم يخلق ويرزق فليس بنير ومن لم يكن قديما فليس بكبير لكن اذا خسفت العقول وقعت الارجل رؤسا والرؤس أرجلا لان المكبوب بسير مقلوب قال الله تعالى أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم وذهب قوم من الصوفية الى التنزيه بالعلو حتى ذهب بهم الى مذهب المبتدعة القائلين ان الفحشاء من العبد ليس هي من الله ومنعوا من تقديرها وخلقها فالرد عليهم عقلا يقال لهم اذا كنتم تقولون ان المعصية من العبد ليس هي مخلوقة من الله فأين المعصية والعاصي قبل وجود الجهل ووجودها هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فلا فرق عندي بين هؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة وبين المبتدعة والمعتزلة كما قد اتفق في مثل هذه المسئلة (قيل) ان عبد الجبار الهمذاني أحد أئمة المعتزلة ارتفق بالشيخ الاستاذ أبي اسحق الاسفرايني فقال عبد الجبار سبحان المتنزه عن الفحشاء ففهم منه الاستاذ أبو اسحق ان معناه عن خلقها والتسبيح كلمة حق أريد بها باطل فقال الاستاذ خلافا للمعتزلي سبحان من لا يقع في ملكه الا ما يشاء فعرف عبد الجبار ان الاستاذ فقه عنه قال أفيريد ربنا ان يعصى فقال أبو اسحق أفيعصى ربنا قهرا قال عبد الجبار أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن الى أم أساء فقال الاستاذ ان منعك مالك فقد أساء وان منعك ماله فيخص برحمته من يشاء فانصرف الحاضرون وهم يقولون ليس والله على هذا مزيد فهذا جواب عليهم نقلا وشاهد من الفرقان والله خلقكم وما تعملون وذهب قوم من الصوفية الى اشارة

السابق واراد وا ان العذاب قد سبق على من سبق والنعيم قد سبق لمن سبق فالرد عليهم عقلا
ان السابق سابقان ليس هو سابقا واحدا على مقتضى العقل والجهل خلقهما الله لا بعلة
ولا لعلة بل لانفاذ قدره ومشيئته فكلفت الارواح باجابة العقل امتثالا لله فان أجابت تعلقت
به وان أدبرت عنه تعلقت بالجهل والرد عليهم نقلا أن يقال وذهب بهم قولهم في الوجود على
ابطال الرسالة وعلى ابطال الشريعة وتعطيل التوحيد والاديان فاذا كان ذلك كذلك لمن قد
سبق له أو عليه السابق فلماذا أرسلت الرسل في اللاحق وأين القرآن المنزل بالبيان على كل الخلق
بالعمل هل خص بالانذار أقواما دون أقوام أم عم الخلق الكل ليعملوا بما فيه و يجتنبوا
مناهيه لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلا فرق عندي بين هؤلاء و بين الجبرية
الذين يقولون العمل ليس يعذب به العبد وقسموا العذاب جورا من الله على من عذبه
والنعمة من الله هوى على من نعمه ليس ذلك كذلك بل النعيم بالكسب والعذاب به من عمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن عمل مثقال ذرة شرا يره وأما أهل العقل والمعقول والكتاب والسنة
والمدة المنقول فذهبوا الى ان الله خلق خلقه وطلب منهم اتباع ما أمر به واجتناب ما نهى
عنه عقلا وهو ان تقبل أرواحهم على العقل ليهديها اليه وتدبر عن الجهل لانه قد غضب عليه
ونقلا وهو تتبع الرسالة على ما جاء به الشارع في الاحكام في المعاملة هذا حلال وهذا حرام
وفي المتابعة صلاة وزكاة وحج وصيام امتثالا للرسول وايمانا بالله على ما وعده خلافا للجبرية
الذين نسبوا المغفرة بالهوى والعذاب بالجور جل ربنا وتعالى عن الهوى والطباع كما لا يتعلق
بالحدث من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون
وانما أطلت في التنبيه لتعريف لمن هداه الله اليه وأوقفه بين يديه وحاصله ان الله خلق
العقل وطلب منه الاقبال فأقبل عليه فارتضاه قولا وفعلا وخلق الجهل وطلب منه الاقبال
فادبر عنه فلم يرتض منه قولا ولا فعلا والجهل أصل لكل معصية والعقل أصل لكل طاعة وبالله
التوفيق والى هذا أشار المصنف رضي الله عنه بقوله (أو أظهر الحق لم يبق معه غيره) يعني
ان الحق هو اتباع الاوامر شرعا والاعمال الصالحات سنة وفرضا مع نفي الباطل قولا وفعلا
قال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فهذا وجهه نقلا وأما وجهه
عقلا فهو اذا ظهرت تجليات الحق على الخلائق كلها وانمحت فلم يبق معه غيره لانها غير والغير
حادث والحادث لا يمازج القديم والفناء جائز على كل حادث والبقاء واجب للرحمن الرحيم
فلو كان لا يصح على اللطائف العدم لصح لها في أوليته القدم وانتفى عنها في الوجود الحدث
والكم وانتفى عنها التحيز ولم يكن نور ولا ظلم وانتفى الافتقار في الآخرة ولم يكن عذاب
ولا نعيم وهذا محال فمن قال بهذا فقد قال بشيء من قدم العالم و بقول الفلاسفة والنصارى
الذين كذبوا بالوعد والوعيد ولو ان اللطائف تفقد من دونه لكانت كالصنم ولو أثبتها طريقه
لبطل التوحيد وزل كم من قدم فهي في النهاية محدثة وصنعة في البداية علم والعلم دال على
المدلول عليه حتى تصل اليه فتى اتصل علم ان ربه هو المتصل اليه بلا كيف ولا حدود ولا نزول
ولا صعود لانه يدرك خلقه من غير أن اليهم يشير كذا يرتفع عنهم من غير أن يظهر كذا فيهم سميع
بلا أذن ولا عين عليهم بصير نعم المولى ونعم النصير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى

وهو

وهو عجيب ۞ قوله رضى الله عنه (من تحقق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى وأقواله بعين الافتراء) أى من ينسب لنفسه عبودية بل استعانة فهو مراء ومن كان له حال ينسبه لنفسه بلا تخصيص من الله فهو مدع ومن كان له قول من عنده فهو مفتر لان المتحقق بالعبودية قان عن نفسه باق بانوار قدسه يدل بحاله غيره حاله حتى قال بمقال غيره مقاله رفع من الحال الخسيس الى الحال النفيس حتى قال بقول سرى ربانى ملكوتى روحانى فهذا مما يضا هى الولاية الصغرى تولاهم بنوره عن حظوظ نفوسهم فزكت أرواحهم وتطهرت جسومهم وشهد لهم فرقانه المنزل على نبيهم المرسل بقوله ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولنا فى ذلك وجه آخر من تحقق بالعبودية تطهرت أفعاله من الرياء وأحواله من الدعوى وأقواله من الافتراء وقلت فى ذلك على حسب الحكمة التى ألهمنا الله بها ودعا اليها على ما يوافق فى الولاية الكبرى على ما سنراه قريبا ان شاء الله تعالى من كاشفته العظمة سهل عليه ترك المعارف فكيف يكون مراتبا من طرح المعارف ومن حيرته الجلالة تغاب عن كل حال من الاحوال واستغنى عنها بشهود الجلال الاعظم والجمال فكيف الغائب عن الاحوال الربانية الموصلة يكون مدعيا ومن كاشفته خشية اللاهوت وأوقفته فى مقعد صدق رهينا كالمبهوت وطرح الصدق مع مباينة ذلك الموقف فكيف يكون مفتريا وهو لا حال له ولا صدق بلى ثم بلى ثم بلى يعنى فنى ثم فنى ثم فنى فكان بفنائه بقى ثم بقى ثم بقى لان الفناء ثلاثة أقسام غير خافية على ذوى الافهام من أهل الالهام فناء عن فعلك وهو قولك لا فاعل الا الله وفناء عن صفتك وهو قولك ما فى الحقيقة حى الا الله وفناء عن ذاتك وهو قولك لا موجود الا الله فمن شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل ولنا فى تحقيق العبودية عبارات لا تغيب على أولى الابصار لان مقام العبودية هو أجل المقامات وأرفع الدرجات ومشتمل على الكائنات الذى أتت منه الولايات وسرت منه السرايات وقصت به العلوم الغيبيات ونزلت ببركته الصحف والآيات وفتقت برحمته الارضون والسموات وقصت به فى المعاد الجنات لا نبوة الا وهو قلبها ولا ولاية الا وهو نسبها ولا فتوة الا وهو سببها ولا مرتبة عليه الا وهو أربها فلم يوجد شئ فى الارضين والسموات الا وهى منه وفيه وعليه وامامه وورائه ويمينه وشماله بالله من مقام رفيع خص به الشفيع ومن قام فى مقامه منة وكرامة من أهل الاستقامة لقوله تعالى فاستقم كما أمرت لعبده ورسوله وقوله سبحان الذى أسرى بعبده وقوله فى حق أوليائه التابعين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فثمرة العبودية الاستقامة قال بعضهم قيراط استقامة خير من ألف كرامة وقال ابن عطاء الله فى حكمه ما دام المقام العبودية مطلب العارفين من الله الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية ولنا فى مقام العبودية حكمتان مظلمتان خفيفتان على أهل الولايتين انا لننظر الى أنه غرق فى بحر نور أحدية الذات فاغنانا بذلك من حال الاحوال والمقامات لكن فى الحكم شدة نهوضية على العراف الواقفين على الاعراف لقوله تعالى وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال فافهم الفرق بين الاعراف وعلى بالفرق بينهم كاسفل وأعلى بالهم من رجال أهل علا ارتفعوا بالاعلى وصفهم

مولاهم مولاهم يعرفون كلا بسيماهم ولا أحد يعرفهم سوى مولاهم لقوله فى حديث قدسى أولبائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى وسنذكر بيان ذلك فيما سيأتى ان شاء الله تعالى ليظهر مكنون الحكم الخفيات ومافيهن مستودع من المعانى الشفيات وعلى ماوجد بالغوص فى بحر نور أحدية الذات فانا لانرى أحدا أهل فى حال من الاحوال والمقامات ماحيا وطاويا ومحرقا ومغرقا سوى نور جلالته الجلالى الماحى كل شئ الطاوى كل شئ المحرق كل شئ المغرق كل شئ سلب كل شئ حتى لا يكون معه شئ لقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله وقوله كل شئ هالك الا وجهه فهذا معنى وحدانيته وفردانيته وكذا لانرى أحدا باقيا فى حال من الاحوال والمقامات وماسك الارضين والهواء والسموات سوى نور هويته الجمالى الهى كل شئ الماسك كل شئ المخصص كل شئ المشهد كل شئ من غير حلول فى شئ ولا حصر فى شئ ولا معطلا لشئ ولا عما لا لشئ ليس كمثله شئ فهذا تجلى نور أحدية ذاته الذى حيى كل شئ منه بحياته بحكم أمره وتصرفانه نفذت مراداته فى مقدوراته بالحياة الابدية لمن شاء فانه لقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون انتهى وهو بحبيب جامع لما ذكر فى الترجمة وبالله التوفيق ❁ ثم قال رضى الله عنه (عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك ليس للقلب الا وجهة واحدة فمهما توجهه اليها حجب عن غيرها) يعنى ان عمرك كله عبارة عن نفس وذلك لان العمر محدود والسنين معدودة والاشهر والايام مخصوصة والاسبوع بالانفاس محصورة وماوراء ذلك لا يدخل فى حصر ولا قياس مما خص عالم الناس فاياك ان تطمع فى غير فمتى طمعت فى غيره وكلك اليه وحجبك عن خيره لانه ليس للقلب الا وجهة واحدة فاحذر ان تميلها الى سواه فمتى مالت الى سواه حرمت أنت رضاه فاغتنم من حياتك العمل ومن قلبك المراعاة فمهما راعيت شيأ انقدت له ومتى انقدت له تبعته ومتى تبعته حجبت عن غيره فاجعل قيادك بالله وقد وفى الله يحجبك بفضله عما سواه ❁ قوله رضى الله عنه (اياك ان تميل الى غير الله فيسلبك الله لذة مناجاته) يعنى ان الميل هو الركون الى ماسواه فان من مال الى غيره سلب ومن سلب عمى ومن عمى فاتته البصيرة ومن فاتته البصيرة مال فلما مال حرم مشاهدة الجلال والجمال فعميت بصيرته فلم يدر ما الحلال وما الحرام وأما المناجاة فهى قراءة كلامه العظيم فمن مال سلب لذة معناه ولو أحسن بالنحو واللغة معناه انما مناجاته بكلامه وكلامه بغير حروف ولا لفظ ولا رفع ولا خفض ولا عربى ولا عجمى بل هو صفة أزلية مالئة الافق قديمة متعلقة بذاته العظيمة فتحقق المناجاة هو من تلك الصفة بشهود وعيان لا بلفظ ولسان لان اللفظ حادث من الحال حتى ترجمت به اللسان والصفة القديمة غير حادثة بل هى قديمة كقدم ذات الرحمن ولقد أحسن الضرير حيث قال

قراءة الخلق صفات لهم ● فواجب حدوثها مثلهم
وقوله المقروء من صفاته ● فواجب قدمه كذاته

فالمراد بهذه المناجاة والتعريف عليها انها من صفاته القديمة القائمة بذاته وبالله التوفيق ❁ ثم قال رضى الله عنه (البصيرة تحقيق الانتفاع) يعنى ان البصيرة تنقسم الى أربعة أقسام بصيرة ظاهرة وهى بالاحكام وبصيرة باطنة وهى بنور الاحوال وبصيرة أصلية وهى بجمال

الاحوال و بصيرة ربانية وهي بنور الله الذاتي الاحدي الشارق على البصائر والذي به صلاح الضمائر وتحقيق الانتفاع والحراسة من الضياع فمن تجلت بنور الله الذاتي بصيرته وانجلت سريرته فهو عبد خصه الله لينتفع به عباد الله لانه عبد محبوب امام لكل سالك ومجذوب حاوي الاربع البصائر شرعا وطريقة بالاحوال وجمعا وحقيقة في الحال وماح ذلك كله في نور أحدية ذات الله فهذا الشك انه امام الايماء العالم بالحروف والاسماء يعطي كل من سأله من أهل هذه الدائرة على مقدار ما يليق بحاله فيشير لاهل الاحكام الى الاحوال ويشير لاهل الاحوال الى الحال ويشير لاهل الحال الى الاستهلاك في نور أحدية ذات الله فيقول لصاحب محو الحال ها أنت وربك ولصاحب الاحوال ها أنت وامامك أي سر نبيك ولصاحب الاحكام ها أنت ومالك أي بصيرة قلبك ولصاحب الميل والخطا ها أنت وتوبتك وهذا حد شريعتك فهذا هو الانتفاع بتحقيق البصيرة والنفع لعباد الله والدلالة لهم على بصيرة قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة والحمد لله وبالله التوفيق وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ۞ وقوله رضي الله عنه (أضر الاشياء صحبة عالم غافل) يعني ان العالم الغافل هو الذي بالعلم غير عامل لان صحبته توريث الغفلة والغفلة من شعار الظلمة فليس العلم الروايات والمجادلات والحكايات والمناقلات فمن أراد به هذه الدلالة فقد أصيب بمصيبة عاجلة انما العلم العمل به وحسن المعاملة والبيان بين الحق والباطل وحسن المناصلة فمن لم يتخذه لذلك فهو مغرور هالك ثم قال رضي الله عنه (أو صوفي جاهل) يعني ان الصوفي الجاهل ليس بصوفي صاف لانه كما لا يتفق مع الكدر صفاء كذا لا يتفق مع الميل والظلم صدق ووفاء لان الظلم من الظلمة والصفاء من النور وهما ضدان لا يجتمعان لكن المغرور الهالك المتبور تزيا بازياء أهل الدين بلبس المدارع والعصين والقلنسوة والزلالين والسجادة للصلاة في الصفوف وجمع المزامير والدفوف وصياح وصفق على الكفوف ومراده بذلك الفضة والخروف فليس ذلك بشيمة التصوف وانما ذلك ميل وتحرف كيف وقد قال الامام الشيخ الكبير الشهير بالعرفان شهاب الدين أحمد بن عطوان كم من فقير لبس المدرعة وحمل العكازة ولا قطع من مفاوز النفس مفازة وكم من شيخ انتصب للدعاية ولا معه من علم العارفين اجازة قلت وكم من متقاعس بالاستخطاف وعلم الضمير وساحر ومتكهن ويجعله المغفل شيخا كبيرا يتظهر بالاستخطافات ويزعم انها كرامات فهؤلاء أشر من الدجال ظهروا لعموم الخلق بمظهر الدين والاحوال والعموم غفال لا يزنون الافعال والاقوال بل ربما يحبون ما فيه هلاكهم ويبغضون ما فيه دواؤهم قال صلى الله عليه وسلم لو رأيتم رجلا يطير في الهواء أو يمشي على الماء ويخالف سنتي في أقواله أو في أفعاله لكان كاذبا أو ساحرا نسأل الله السلامة والعافية من المصيبة في الدين قوله رضي الله عنه (أو واعظ مداهن) يعني الواعظ المداهن هو الذي يعظك لغير الله اما ليقال واما لطلب الدينار والمثقال لان المقصود من الوعظ اصابة الموعظ والمداهن لا يصيب وعظه فهو مثل الاعمى لا يصيب رميه ۞ قوله رضي الله عنه (من رأيته يدعي مع الله حالا لا يكون على ظاهره شاهدا فاحذره) لان الحال هو العلم والعلم دعوى والعالم مدع والسنة والكتاب عبارة عن القاضي والعمل

شاهد على ظاهر الحال والاستقامة شاهد ثان على باطن الحال والخشية والهيبة من الله عدلان فمتى شهدت الشهود الثقات بعدولها صحت الدعوى وقبلت الفتوى غاية قبولها فان لم يكن كذلك أو نقص شيء من ذلك فالدعوى باطلة لكونها عن الدليل عاطلة فمتى بطلت وقعت المجادلة وصارت الاجساد غير عاملة وبقيت الاحوال مهملة فمن كان ذلك صفته فهو مخالف لله وسنته فالحذر الحذر من تبعته فانها فاسدة امامته فاذا فسدت امامة الامام فسدت على المؤتم متابعته و بطلت دعايته ظاهرا كان أو باطنا بلا شك ولا ريب الا ان يرجع كل منهم و يتوب الى صحيح الكتاب والسنة و بالله التوفيق ﴿ قال رضى الله عنه (من خرج الى الخلق قبل حقيقة تدعوه الى ذلك فهو مفتون) يعنى ان الخارج الى الخلق قبل وجود حقيقة هو المعرض عن الحق حقيقة وان الداعى الى الله بغير تحقيق لا شك انه مفتر زنديق فكيف بدعو من لا يدعى أو يدل على السعى من لا يعرف أن يسعى كذلك المصروع لا يرقى حمة الافعى وكذا الذئب لا يوكل على الانعام فى المرعى وأما المفتون فهو محل الفتنة الخارج للدلالة قبل احكام دينه فمن استدل بالمفتون فقد استبدل بالعقل الجنون ومن تبع هواه مع وجود حقيقة فهو مردود والمردود عليه الباب مسدود لان من سد عليه الباب استدل عليه الحجاب ﴿ ثم قال المصنف رضى الله عنه (ما وصل الى صريح الحرية من عليه لنفسه بقية) يعنى ان صريح الحرية هو اسقاط كل هوية فمن لم تسقط هويته لم تصح حريته لانه من عتق من نفسه امتلك لرقية ربه ومن امتلك لرقية ربه زال عنه ملك نفسه فلم يرشما فيه أو منه أو له سواه بالفضل اتباع أحكامه بالتخصيص شهود انعامه وان كان له شيء أو منه شيء أو فيه شيء فليس بعتيق من نفسه انما عتقه من تجليات أنوار قدسه مملوك رهين فى حبسه ما عتق من بقية نفسه حتى أوقمه هواها بسجنه وحبسه فلما ملك بها مات روحه ووقع بدنه فى رمسه لقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن العاقل روحه ميتة وقبرها بدنه ﴿ قوله رضى الله عنه (من عرف الله استعاذ منه فى اليقظة والمنام) يعنى كما يليق بالخشية منه لان بطشه شديد وهو أقرب الى عباده من حبل الوريد فاتصاله اليهم فى اليقظة كاتصاله اليهم فى المنام من غير طيران اليهم أو مشى أو زحام بل بمشيئة مقترنة بقدور نافذ بالعدل والجور فمن عرف منه ذلك خشيه فى يقظاته كذا لا يأمن ذلك فى نومه وسناته لقوله تعالى أفأمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴿ ثم قال رضى الله عنه (من رزق حلاوة المناجاة زال عنه النوم) أى لان مقام المناجاة هو مقام الحضرة والموالاة فمن حظى بذلك المقام كيف ينام وتحقيق المناجاة خصت به الارواح الروحانية الغواصة فى بحور الوحدانية خصت بذلك الارواح دون الصور الجسدانية لان الصورة لا تناجى بمناجاتها كما ان الروح لا تموت بموتها لان الروح قدسى والجسم أرضى فلما صح ان الروح لا تموت كذلك يصح ان لا تنام بنومه خلافا للمعتزلة والفلاسفة الذين يقولون ان الموت عدم محض وكذبوا برجوع الارواح الى الاجساد ويوم الوعد والمعاد فذهب بهم قولهم الى التكذيب بالجنة ذات النعيم والتكذيب بالنار ذات الجحيم والكلام هنا

يطول

يطول فاذا عرفت ذلك علمت ان الارواح خلق الآخرة وهي في الدنيا في الاجناد وجودة اما أرواح مناجية مقدسة عالمة عاملة واما أرواح غافلة عاصية جاهلة مظلمة سوادية النفس موسوسة فهذا حكمها في عالم اللطيف ومختلفاته في أنواره وظلماته وأما حكم عالم الاجساد فهي تأكل وتشرب وتنام وتجري عليها العوارض والموت والآلام وأما الارواح القدسية فليس غذاؤها غذاء الجسدانية بل غذاؤها بالنور والذكر والحضور وشرابها من جنة بدوام السرور كانها في علمين في مقعد صدق لمناجاة أرحم الراحمين لا يحجبها حجاب الطين ولا السموات ولا الارضين ولا الحجب السبعين بل هي ناضرة الى ربها ناظرة وأما الارواح السوادية فغذاؤها من الزقوم وشرابها من الحميم وهي محبوسة في سجين نسأل الله السلامة والعافية ونعوذ بالله من خلق أهل النار وان يجعلنا بفضله وكرمه من المصطفين الاخيار في زمرة محمد المختار الخالدين في دار القرار وانما ذلك النعيم بالنظر الى وجهه الكريم بلا حجاب عن ذي العرش العظيم وبلا حصر وحدود لذات الرحمن الرحيم انتهى وهو عجيب ﴿ ثم قال رضي الله عنه (من ضيع حكمة وقته فهو جاهل ومن قصر عنها فهو عاجز) يعني ان حكمة الوقت هو الصلاة فمن ضيعها جهل والجهل يعود عقابا والعقاب يعود عذابا ومن أتى بها على مقتضى ما في الكتاب أمن من هول يوم الحساب وتطهر من دون السيآت وتنزه عن العلل المبطلات فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لو ان أحدكم يغتسل في نهر في اليوم والليلة خمس مرات هل يبقى به دون فقالوا لا يا رسول الله قال كذلك مداومة الصلاة ومن قصرها عن سننها ومؤكداتها فهو عاجز والعاجز محروم الزوائد لان ما كان فيه تأكيد تعلق بالفرض وحكمة الوقت هي الصلاة في أوله لبعد العجز عن فاعله وحكمة المؤكد بالتمام ليحتمل تقصير الصلاة وسهوها كما فعله الشارع في وقت الجهاد ما قصر منه بشئ تأكيدا وفرضا رحمة منه ولطفا بالعباد فهذا وجهه نقلا واما وجهه عقلا وذوقا فمن ضيع حكمة وقته فهو جاهل لان الوقت هو النفس والحكمة فيه بالحضور لانه طالع بقول الله الله نازل بقول هو هو فمن ضيع تلك الحكمة فهو جاهل أي جاهل الحضور بمطلع التوحيد ونزول النور ومن قصر عنها أي ما فهمه فهو عاجز عن ادراك معناه فهذا الوجه ساقط تكليفه على من لا يدعيه وأما العوام فعبوديتهم عبادة صحيحة فقط على مقتضى الاوامر لا غير فما فاتهم فاتهم من الذي لا يوافق هواهم والوقت في اصطلاحات الصوفية لما يصادمك ولا يوافقك والاصبان تلزم الاستكانة لمولاك فيما به ولاك فهذه عبودية الخواص لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل يكلف البالغ الصلوات الخمس والسنن المؤكدة كما قدمنا في الوجه الشرعي وأما وجه التخصيص فهو بلا تكليف بل هو طبع منطبع بلحمه ودمه بلا كلفة هكذا يقول فيمن وجده به وعرفه ﴿ ثم قال رضي الله عنه (اجعل الصبر زادك والرضا مطيتك والحق مقصدك ووجهتك) يعني بالصبر على الطاعة بلا انفكاك ليكون زادك في يوم فاقتك يوم لا ينفعك مالك ولدك ولا يتفعك سوى ما وجدت في صحيفتك لقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وبالرضا المنازل في القضا من السقم أو الشفاء ارض بذلك كله

لتكون أنت من أهل الوفاء واقصد الحق بذلك لتبلغ به أشرف المسالك لتكون أنت المملوك وهو المالك والمملوك لمولاه عتيق من هواه فيحصل انفكاك الرقبة باستمالك للعلوم الشرعية واخلاصك في العلوم الحقيقة لانك بالامتثال واخلاص الاعمال تشهد اللطائف الغيبية وباللطائف تتفتح العلوم اللدنية لقوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعلم الانسان مالم يعلم الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر فبالفتوح والنصر ينجبر الكسر وينشرح الصدر ويمتلئ القلب قذفا ويحصل بالقذف شفاء كل الشقا فبذا تحظى بوادي الخلق وتبدو خوافي الحق قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء بلا كيف ولا أين وبلا فين يقين يقين للعلماء بالله وللعارفين شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ۞ ثم قال رضي الله عنه (من تعلق بوعد الاماني لم يفارق التواني) يعني ان من لم ينهض مجدا الى العمل بالعلم فهو ممن مستشعر الكسل قال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل وغلبة الدين وقهر الرجال فتستعيذ بالله مما استعاذ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسأل الله المعونة على أوامر الله فكيف يفارق توانيه من الشيطان يعده ويمنيه يسوفه بالتوبة حتى يعنه باعث الاوبة فعند حصول المصيبة يتبرأ منك العدو وعند معاينة العقوبة قال الله تعالى في محكم كتابه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فلو عرفت يا أيها التواني المغرور بالأماني أنها من زخاريف الجني لقوله زخرف القول غرورا لبادرت بالتوبة والعمل وانتهت منهما ما حصل قبل أن تدركك نقلة الاجل واسقط عنك الكسل وبادرت بصالح العمل وعرفت عدوك الذي يعدك بشيء ما يحقق لك اما علمت ان الأماني والتواني من الشيطان يشاهد كلام الرحمن بقوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا الى غير ذلك من الآيات والاحاديث والدلالات ۞ ثم قال رضي الله عنه (السالك ذاهب اليه) أي سائر اليه بالاعمال وقائم بالامتثال فبحسب امتثاله واخلاص أعماله يدركه الحق باتصاله ويتجلى عليه بنور جلاله فيفنى عن نفسه وأحواله وعن ابناء جنسه وأعماله فيصير محبوبا من بعد محبته محبوبا من بعد صحبته مجذوبا من بعد ارادته مرادا بالتخصيص لا بجهله وحسن عبادته لانه تجلى عليه بتجلي الجمال فابقاه بالشهود والاتصال فحاه من بعد ذلك فلم يكن له حرف ولا حال ثم درج المصنف بقوله (والعارف ذاهب فيه) أي معدوم كل العدم عن معارفه وأحواله باق بكل البقاء باتصال نور جماله فلو كان له رسم يحد بحال لغاب عنه الحق وفقد ولو كان له حال واقف به لستر عنه الحق وكان الحال حجابه فكل شيء تنصبه في مرآة شهودك انما هو حجابك عن مشهودك فلو كان الحق محجوبا بشيء لغفره ذلك الشيء واختفى فيه وكان لذلك الشيء جرم يحويه وهذا محال عليه سبحانه وتعالى جل ربنا وعلا عن الحصرية والظرفية والقبلية والبعدية والفوقية والتحتية بل هو ظاهر كما هو فلا يعرف ما هو الا هو وانما المحجوب أنت بما شهدته وجددته وجدته سواء كان في السفلية أو في العلوية فلو اطرحت شهودك لاغتمرك وجودك وغاب شهودك بمشهودك فرأيت الحق أظهر مما ظهر فلا تجد معه عرشا ولا عرضا ولا

جوهر اعلى وفق معنى ما تضمنه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فاستفده فانه مهم جدا جامع لعلم الاولية والآخرية والواحدية مع الاختصار وبالله التوفيق ﴿(الموت كرامة والفوت حسرة وندامة الموت انقطاع عن الخلق والفوت انقطاع عن الحق) يعنى ان الموت هو قدومك على الآخرة والقائل فى الحافرة وحبسك فى البرزخ الى يوم القارعة فليس لك فى لحدك ما كسبته يدك وما وجدته مسطورا فى صحيفتك اذا عاينت حسابك فهنالك تقرأ كتابك فلا تظلم فتيلا ولا نقيرا قال الله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان وجدت الخير تحسرت على الزيادة على ما فاتك فى حياتك يوم فارقت مالك وولدك نوديت لو شمرت فى أوقات ما قصرت طلبا للمزيد لما تحققت ان ربك ليس بظلام للعبيد فهذه نقلة عموم المسلمين المقتصدين فى الدين ﴿ وأما خواصهم فقد أكرموا وهم احياء بموت نفوسهم لقوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل أن تموتوا أى أميتوا هوى النفس وارفعوا الرؤس عن المقام المنكوس وحاسبوا قبل ان تحاسبوا أى حاسبوها عما رمقت الى العالم المحسوس وعما استغرقته فى الحظ الملموس وأقلعوا قبل ان تقلعوا أى اقلعوا عونتم او كبرها لتموت بقية شرها فاذا وقع لها تلك العنايات لم تتحسر على ما فات ولم تنقطع عنها التجليات فهذه نقلة من سبق الى الخيرات فمن كانت هذه نقلته وانطوت على هذى صحيفته كان الحق لباسا يكون خير كسوته وتوجه تاجا من نور أحديته فلم يرض بما فى الجنان من دون شهود الرحمن ﴿ قوله رضى الله عنه (التسليم ارسال النفس فى ميادين الاحكام وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام) يعنى ان السلامة والتسليم لمولاك الكريم هو اعراض النفس سواء كنت صحيحا أو سقيما وقد يراد بالتسليم الصبر على البلاء واستواء المنع والعطاء ويراد به أيضا احكام الوقت فمن لا يحكم وقته لا يستبعد مقته والتسليم حالة شريفة عالية منيفة يقيم الله فيها خواص عباده على تأويل مراده وهو من أشرف الاعمال القلبية ويتعلق به تسليم الجوارح البدنية الموافقة لامر ذى الجلال فى كل حال وتسليم الجوارح هو بذلها فى الاعمال الصالحة فى ميادين الاحكام الشرعيات مع قطع عوائدها والمألوفات من حظوظها والشهوات مع ترك الشفقة عليها من نار الخوف لان الخوف عليها كالنار على الحديد لانها أقسى من الحجر الشديد فلا يلين الحديد الا فى كير وكثرة وقيد فبذا يلين ويتطبع بطرقة شاغله على ما شاء صانعه فيقع فيه بعد ذلك بأس شديد فيقطع به ما لكه ما يريد وهى كذلك لا تلين من قسوتها الا اذا ماتت من الخوف ونار التوحيد رعوتها فحينئذ تذعن بالانقياد فتعبد رب العباد وتصبح وتمسى مستسلمة بلا عناد ﴿ ثم قال رضى الله عنه (أحرص أن تصبح وتمسى مفوضا مستسلما له ينظر اليك ويرحمك) يعنى ان المراد كل المراد ان تحرص وتجتهد على ان تصبح وتمسى سالما مسلما من المخالفات ومن الاعتراض فى اقداره النافذات لان النفس شأنها ان تعترض فى المقدرة ترضى بخير القدر وتكره شره وتحقيق رضاها بخير القدر لما فيه من اعراضها فمن عرف أن اماتتها حياته أقعصها تعاسا عن هواها فان داءها فيه دواها فاذا وقع لها ذلك منك فلعلها ان ينظر اليك ويرحمك برحمة منه تكون لك نورا ويعافيك من

مرض غفلتها ويلقيك سرورا ليكون الرضا بالقضاء في الضراء والضراء والشدة والرخاء في محل واحد عندك فحينئذ قوت دعائها وغوائلها ببركة نور ربك الله نور السموات والارض قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه ۞ ثم قال رضي الله عنه (من اشتغل بالدنيا ابتلى بالذل فيها * لاتم عن نقصان نفسك فتطغى من تزين بزائل فهو مغرور) يعني ان الدنيا فانية والفاني يحجب من طلبه ويذل من اكتسبه يوم معاده ومنقلبه لان الدنيا كالجيفة وطلابها كالسباع ومالك الجيفة ذليل عليها من الضباع لايختطفها عليه السباع فسباع الدنيا كبير وصغير فالكبير يختطفها من يد الصغير فسببها هو الذي يطلبها من غير بابها سبع يطلبها بسيفه وسبع يطلبها بدينه فمن طلبها بدينه فهو لائك أعمى متغط عن يقينه ومن أخذها للمكاثرة والمفاخرة وتزين بها فهي قسمه من الآخرة لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ومن كانت الدنيا في يده وقد أخرج حبها من قلبه فهذا هو الواجد بربه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وذلك الهاكم التكاثر كوبهم ومنهيا كاون هوفي الاخبار عن الله يقول الحق سبحانه وتعالى ياعبدنا لاتشتغل بغيرنا اشتغل بنا وما كان لك هو يأتيك منا فان اشتغلت بغيرنا وكلناك اليه وان اشتغلت بنا نصرناك ورزقناك ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب وأما من لاشئ من الدنيا في يده وهو يحبها بقلبه فهو محجوب عن ربه لانه من أهلها ومتزين بها بقلبه وان فاته ماملكه فيها واكتسابها بدليل قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى اللهم اجعلنا من المتوكلين عليك الطامعين فيما لديك ومن عبادك الذين ليس لهم حاجة الا اليك ياأرحم الراحمين ۞ ثم قال رضي الله عنه (الحمية في الابدان تركك المخالفة بالجوارح) يعني الحمية تركك السيئة ولايحصل تركك السيئة الا بالانشراح في الصدر فمتى انشرح صدرك ترقبت خوف الله واحتقت الجوارح من معاصي الله وعلمت أنه رقيب عليك برعاك في سرك وفي نجواك فحينئذ تبادر بالطاعة اليه وتقبل بالعبادة عليه لان تحقيق الحميات هو بمداومة الطاعات ومن فاتته الحمية ركب كل معصية فصار متحركا بالمخالفات مرتكبا للاعمال المذمومات فمن كان هذا شانه فهو المستدرج شيطانه الغاوي في طريق الفساد والمائل عن سبيل الرشاد من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ۞ ثم قال رضي الله عنه (الحمية في القلوب ترك الركون الى الاغيار) يعني ان القلوب هي محل المحبوب وهي اما محل للاسرار واما محل للاكدار فمن لم يركن قلبه الى الاغيار رفعت عنه الحجب والاستار فتحقيق الحمية في القلوب انه لايحب غير الله محبوب ودوام الحب يكون بدوام الذكر ودوام الذكر يكون بدوام القرب ولايمكن خلو القلب من الاغيار الا اذا انصدع بالتوحيد وتكونت فيه الاذكار وبرزت طنا ولفظا موارد الله الواحد القهار فحينئذ تسقط الاغيار وتشرق الانوار وتضمحل ظلمة ليل النفس وتشرق شمس الروح بالنهار فحمية نور القلوب يزول اللباس كما أعطى نور الى زجاجة قلبه يعشى به في الناس ۞ قوله رضي الله عنه (والحمية في النفوس ترك الدعوى) يعني ان النفس لاتسقط دعواها الا اذا مات هواها فحميتها تموت دعوتها

Digitized by Google

تسمع خطاب الله وتعى لقوله لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى فبالحية من الله تدفن وتحشر وتقبل ولا تدعى وتطيع بارئها بما أمرت وتنتهى عما زجرت فهذا تحقيق الحية فى النفوس الزكية فزجركبرها من الحظ المكنوس الى اجابة الملك القدوس فلولا العناية لم تسمع الدعاية ولولا انه زكاها فى السابق لم تزل فى اللاحق قال تعالى قد أفلح من زكاها أى من نورها بنوره وتجلى عليها بسروره فهذا تحقيق زكاته لكونه جذبها الى اللاحق ومن دساها خالفته ولم تدر ما طاءتها من معصيته هذا من حيثه هو وأما من حيثكم فلا تزكوا أنفسكم فان زكاها لكم فزتم وان دساها لكم خبتم وكذا من حيثها فلا تزكى هى نفسها فان تجلى لها النور أقبلت وزكت وان دساها بالظلم أظلمت وعصت فلا يمكن صلاحها بنفسها القول بارئها فيها وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها قال بعض العارفين من عرف نفسه لم يزكها ولا يزكيها سوى ربه وأما من سفه نفسه زكاها وتزهها ولما خفيت عليه عيوبها انزهها من ذنوبها كيف وقد قال الكريم ابن الكريم وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ﴿ ثم قال رضى الله عنه (أنفع العلوم العلم باحكام العبيد) يعنى ان أنفع العلوم العلم بالاحكام الشرعية اذا قارنها العمل والخشية فبذلك تصير أنفع العلوم لتطهير الرسوم فمن استقام على كتاب الله وسنته اتضحت له سبل طريقته وانفتحت له عين بصيرته الا ان اعتلال العمل بعجب أو رياء فيفسد عمله ويمذبعلته لعدم معرفته لدغيلته قال الشيخ الامام العالم بالله زكريا الانصارى فى شرحه على رسالة رسلان الدمشقى شريعة بلا حقيقة عاطلة فمثلها كمثل الشجرة والعامل كالفارس لها والاجساد كالطين والتوفيق كالماء فبينما الشجرة اذ تفرعت أغصانها وقويت فى مكانها فلما ان أزهرت سقط تعليق زهرها فلم يدر فارسها ما علتها فلا حاجة الى الشجرة دون ثمرتها لان الاشجار اذا عريت عن الثمار وتعطلت عن الازهار لم تصلح الا حطبا للنار وصلاح ثمرتلك الاشجار والمزارع ببركة نور العلم النافع فلهذا قال شريعة بلا حقيقة عاطلة يعنى انها لا تثمر شجر الشريعة الا بموت النفس والطبيعة لان النفس مفسدة للاعمال اذا حصلت وسفسدة للغروس حتى ما أثمرت فماؤها كماء البقول يفسد به الثمر عند الحصول فصلاح الاعمال فى اخلاصها وتحقيق اخلاصها فى المرادبها الربها لتجلى القلوب من رانها ويموت الجاثم شيطانها ويخرس من النفوس شيطانها. ويقوم الروح انسانها قال تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فمن لقيه بالخير يا هناه ومن لقيه بالشر يا عناه فشاعر العارفين القيام على الحد الشرعى فكل ذى حقيقة لا يمنعه الحد الشرعى فهو مفقر طبعى متعد قال الشيخ الامام زكريا الانصارى فى شرحه على رسالة الامام رسلان وحقيقة بلا شريعة باطلة يعنى انها ليست بحقيقة حق فمن ادعى الحقيقة وخالف الشريعة تزندق ومن أقام بحد شريعته واتبع رسول الله واستمسك بسنته وفاضت بحور حقيقته واستقام قائما بالحق للحق فهو لا شك انه عبد موفق وخير الكلام الذى لا تأباه الافهام كلام الله العزيز العلام وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴿ ثم قال رضى الله عنه (وأرفع العلوم علم التوحيد) أى لانه أعلى العلوم المعنوية وأرفع المقامات الخفية وباطن العلوم الشرعية وذات العلوم الكشفية ومفتاح الانوار السنية ومنتهى

العلوم اللدنية وحقيقة التوحيد هو تميز الحق عن مخلوقاته وارتفاعه عن أرضه وسماواته واشتماله على جميع كائناته لعزة كنه أسمائه وصفاته وقدمها كقدم ذاته فهذا معنى توحيده وتفريده ولو اتصل معنى التوحيد الى الكائنات فاتصاله اليها دليل على انفصاله منها * (تنبيه) * لا يخفى على أفهام ذوى الافهام ان سنى نور التوحيد ماسك للكائنات من العطال من غير أن يكون ممازجا لها أو حالا فيها بحال ومن غير أن تكون فيه الاجرام والاعراض حالة ولا منه عاطلة فلو عطلت منه لبطلت وعين التوحيد مرتفعة بالذات وان أشرق سنى شمسه على الكائنات فلا العين نفس الاشراق ولا الاشراق نفس العين وفهم ذلك صعب جدا على المحجوب بالعين وأما من شاهد العين بالعين وأسقط عنه أستار البين فلا يقول كيف ولا أين لكنى قلت فى ذلك مثلا يقرب ذلك ولله المثل الاعلى كان الكواكب الزاهرة والانوار الباهرة مثلا لمعانيه فوقع ضياؤها فى الليل ليذهب ظلمته اشراق القمر وصفته على سطح الارض غير حال فيها وعينه فى السماء باهرة ليس هى فى الصفة الظاهرة وكذا الشمس بالنهار أخفت القمر والكواكب وهى موجودات فاضحيات من اشراق الصفات كأنهن لم يكن مع الشمس اذا طلعت بوصفها على الكائنات القمرية والكوكبية والهوائية والاقطارية هى عليهن مستترلة والعين منزهة من الصفة مرتفعة فهذا معنى رفعة علم التوحيد وقدر من البيان ما لا عليه من مزيد وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ﴿ ثم قال رضى الله عنه (جعل الله قلوب أهل الدنيا محلا للغفلة والوسواس وجعل قلوب العارفين محلا للذكر والاستئناس) يعنى انه لا يستوى حبان فى قلب واحد كما قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه فالقلب الذى من حب الدنيا ملى هو الذى من حب الله خلى فمن امتلأ القلب بغفلته فهى دالة على قلته فمن مات قلبه لغفلته عن ربه أصر على ذنبه فلا يتوب اذا أساء ولا يستغفر اذا أخطأ فهو محل للوسواس الجاثم عليه الخناس فبينما هو فى غفلته مصر على خطيئته ويسوف بتوبته ويعد بمهلته غائبا فى سكرته غارقا فى نومته اذ فاجأه الموت بنقلته فعرضت عليه أعماله ونشر عليه ما فى طى صحيفته فوجد فيها خلاف أمر الله وسنته فاعتذر فلم يقبل عذره بعد ذرته فأوقفوه فى وسط حفرته ففتحت مناقذ فتحته وأقبل الملكان لمساءلته ليسألاه عن الله ورسالته فلم يدر ما يقول فلم ينفعه ما اكتسبه ولا ما يحول فوجد ثمرة غفلته فاضحة وزهور معصيته غير ناجحة فلما ان اعترف بمميته بأمته وأحبته وهو فى حفرة تزفر بالزفير فلا أحد عليه يغير ولا له من الله مجير ونادى الملك الكبير الذى لا اله سواه لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله فهذا شأن قلوب أهل الغفلة والوسواس المعرضين عن الله فى كل الانفاس وأما قلوب العارفين فهى مستأنسة بقرب أرحم الراحمين لانها اختلت من الاغيار حتى امتلأت بالانوار واستودعت فيها الاسرار فهؤلاء هم الابرار المصطفون الاخيار الذين لم يشغلهم حب الدنيا عن الصلاة والاذكار فلذلك وصفهم الله الجبار بقوله ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا مع الشهود لجمال المعبود وجلاله فى اليوم الموعود من غير حصر وحدود ومن غير احاطة لعالم العزة والوجود لا تنظر

لا منظور بل عالم العزة للناظرين مشوق بالنور وأما كنه ذاته فهو متقدس عن الرؤية والخطور فما علم بعلم اليقين في دار الدنيا من تجلياته فهو مرئي في دار الآخرة بالبصر كما نزلت به آياته وكما قال صلى الله عليه وسلم ستررون ربكم كما تنظرون الى القمر في ليلة الصحو ولا تضاهون في رؤيته وكما قال وهو أعز من قائل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ۞ ثم قال رضي الله عنه (الخوف سوط يسوق ويعوق يسوق الى الطاعة ويعوق عن المعصية) يعني أن الخوف من الله سوط للنفوس الجريئة لانها حيوانات جهنمية فيمنعها من حظوظها الدنيوية لتشتاق بالاقبال عليه في كل نفس ونية فتؤمن بالآخرة انها حق وان الله سبحانه وتعالى حق وان النعيم حق والعذاب حق فاذا عاينت انتزعت عن معاصيه واجتنبت مناهيه وأقبلت على ما يرضيه فهذا خوف العموم لانهم لا يخافون الا من معاقبته ولا يطمعون ان ترضى عنهم ليسلموا من ناره ويدخلوا جنته وأما خوف الخصوص فهو غير ذلك لانهم سلكوا أشرف المسالك واستقاموا لله واجتنبوا المهالك فليس خوفهم خوف أولئك لا يرجون رضا رضوان عليه السلام ولا يخافون غضب مالك وانما خوفهم من بارئهم كما عرفوه ويخافون من الحجاب بعد ان شهدوه فمن شهده ثم فقده فأي فقد أعظم من هذا وفقده قربه اليه ثم عزله وأبعده وحاشا الكريم اذا تكرم أن يندم على اكرامه لكن العبد اللئيم اذا أساء غاب عنه الحق لاجترامه فالعذاب على العراف كل العذاب هو في ستر الحق عنهم واسدال الحجاب فمتى تكاثرت على العارف الذنوب وقويت رعونة نفسه ولم يتوب نادى منادي علام الغيوب هذا عبد فاقد عقله سلوب اسدل عليه الحجاب يا كروب هذا عبد شاط لم يصلح للبساط نعوذ بالله من التكبر بعد التعريف ونسأل الله السلامة والعافية من عباد أهل التعريف قال سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ۞ ثم قال رضي الله عنه (لا ينفع مع الكبر عمل ولا يضر مع التواضع بطالة) يعني ان العمل اذا أورث لصاحبه الكبر فليس يمحو الذنوب فاذا كان العمل للاستكبار فهذا عمل تشترى به الاوزار أورث العامل كبرته فوقع الكبر أجرته فافسد عليه عملته فعند منقلبه في آخرته يصدم بعقوبته لان عمله عمل العاثرين وظنه ومراده مراد الضالين فبئس مثوى المتكبرين وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين وكذا الاتضر البطالة مع الندامة لان تحقيق الخضوع هو التوبة عن المعاصي والرجوع فمن أساء ثم تاب وخضع واستكثر ما فعله وأقلع فلا شك أن سيأته تمحى بأجمع فبالعمل الصالح الى الملا الاعلى يرفع وبالخضوع يرتفع الى الاعلى وبالكبر يسلب الدين فضلا وعدلا قال ابن عطاء الله في حكمه رب معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا ۞ ثم قال رضي الله عنه (ان أقامك ثبتك وان أقمت بنفسك سقطت) يعني ان معنى القيام هو الاستعانة به على أمره فمن أقامه بذلك ثبت قدمه لقوله تعالى اياك نعبد أي نتبع أمرك واياك نستعين أي على ما أمرتنا به فلولا معونتك لما قمنا بما أمرتنا فهذا معنى اقامتك ان أقمته وتحقيق استعانتك لمن أعنته ومن قام بنفسه سقط ونزل من الدرجات وانحط

ومن سقط ارتدى ومات موت الفتنة والمرتدى لم تحصل له الشهادة ساقطا من الدرجات هاويا فى الدركات نسال الله السلامة والعافية فى المحيا والممات انه ولى ذلك والقادر على ماهنالك ثم مد المصنف يديه بالدعاء والتضرع اليه بقوله (اللهم فهمنا عنك فانا لا نفهم عملك الا بك) وأقول مثل قوله وأتوسل مثل توسله اللهم بك علمنا فانا لا نستدل عليك الا بك ولا نعبدك الا بك على العبودية أمتنا فانا لا نقدر على شئ الا ان تكرمت به علينا ثم قال رضى الله عنه (ليس من ألبس ذل العجز) يعنى أن من عجز عن الطاعة والتبتيل وأعرض عن سواء السبيل ألبس لباس العجز عن الدين حتى عمل عمل الشياطين لانه تابع لهواه معرض عن مولاه زل به قدم دليله حتى مال عن الحق وسبيله فعدا بعض اللباس الذى لبسه والعجز الذى حبسه لم يجد من ذلك مشردا ولا مهلة ولا أمدا ونادى منادى الحق بتحقيق الندا أيحسب الانسان أن يترك سدى ثم قال رضى الله عنه (كمن ألبس عز الافتقار) يعنى بالذل والانكسار والنهوض بالعمل الصالح والاستغفار فمن ألبسه لباس الفقر اليه والخضوع بين يديه فقد اكتسى بالحياء وحق بالاجتباء وعز الولاء ونفى الفخر والعجب والرياء فهذا عبد معتز بالعزة المنجية يوم الهزة بلباس الفقر الى مولاه غفر له بذلك واصطفاه وكنفه اليه وآواه فى جوار أرحم الراحمين نشتان بين الفريقين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والحمد لله ولا اله غيره ثم قال رضى الله عنه (من نسب لنفسه حالا أو مقاما فهو بعيد عن طرقات المعارف) أى ليس له معرفة من نسب لنفسه معرفة وليس له حال من ادعى الحال لانه قد تقرر عند العلماء ان العالم من قام به العلم لا من قام به والمغرور البليد يزعم أن له حالا أو مقاما وهو متسلخ بعيد لان المعارف نورانية لطيفة روحانية لانها خلق شريف وصور العباد جسدانية كثيفة طينية لانها خلق ضعيف فما قام الطين الجسمانى الا بنفخة الروح الربانى فاذا ادعت الاجسام بلسانها العجمية على المعارف اقتضت دعواها انها القائمة بالاحوال والكثيف الجسمانى محال أن يقوم به الوجود الروحانى فدل على تكذيب العبد وبعده اذا ادعى على حال ونسبه له فليس المملوك يكون المالك ولا المالك يكون مالك الملوك وقد صرأن العالم من قام به العلم فكذب المدعى اذا قال أنا العلم وأنا الحال وأنا العارف فالعلم والمعرفة والاحوال واسطة بين الحق والعباد سواء كان فى طريق الضلال أو الرشاد فعلمه شامل والعبد فقير عامل والمولى عنده الجزاء والحاصل وهو الموفق الهادى المضل فسبحان من وفق من يشاء لما يشاء من خيراته وأضل من شاء بما يشاء بارادته ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال رضى الله عنه (العبد يياس من الفرج الا من مولاه مافات لا يستدرك لان الوقت ثانى غير الاول) يعنى ان الذى تريده من غير الله امنية والاولى منه الاياس فكيف تفرح بما فى أيدى الناس ان الله لا يحب الفرحين به فى بما فى أيديهم من دونه فكيف بما فى يد غيرهم وأما ما عند مولاك فلا تستغنى عنه لا فى سرك ولا فى نجواك واياك أن ترضى بشئ من دونه فانه حجاب بينك وبينه فمن استغنى من دونه بشئ كان نصيبه ذلك الشئ ومن أيس من كل شئ واستغنى مولاه على كل شئ يسر له كل شئ وتجلى له فى كل شئ فتكون له حوائج

Digitized by Google

الدنيا والاخرى منه ميسرات والشهود نوره له كالمرايات وأما مافات فادراكه قد فات لانك مطالب بغيره من الانفاس فما فات من الانفاس لايدرك ولايقضى عند أهل كشف الغطاء لانك في كل وقت ونفس أنت مطلوب بالنظر فكيف تدرك فاتتك مع حضور آخر فلا تقضى فوائت الانفاس والاوقات الا بتجديد الاعتذار الى الله والتوبات قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة وقيل سبعين ألف مرة ❁ (أفضل الطاعات عمارة الوقت بالموافقات) أي ان ما كان فيه رضا الله فهو الفضيلة لمن اتخذ الحق مقصده وسبيله بالموافقات وضبط الاوقات ظاهرها والمعنويات وباخلاصها والمراعاة يرفع بها العبد الى أشرف الدرجات وقد يراد بالوقت الصلاة ويراد به ضبط الانفاس فعلى هذا القياس ان كنت من الاكياس غب عن الاحساس بشهود رب الناس وتطهر من الادناس يزل عنك العناء والباس ويراد بالوقت أيضا احتمال الاذى من الناس وترك الجزع في مقدور الحق الذي هو مظهر المشاق ونزع الارفاق فالقيام بهذا من أعظم المنن وهو من أعمال القلب فاجعل الطاعة يا أخي عمادك والصبر زادك والحياء شعارك والخوف من الله لباسك ورسول الله في كل وقت وحال امامك لان كل حال ومقام لايكون فيه رسول الله اماما فليس بحق على التحقيق بل هو مناف للتوفيق لقوله تعالى فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ❁ ثم قال رضي الله عنه (الفتوة أن لاتشتغل بالخلق عن الحق) يعني لاتركن اليهم فانهم ان يفتنوك عن الله شيأ فمن اشتغل بالخلق عن الحق فاتته الفتوة والفتوة هو ماجاءت به الرسالة والنبوة على منهج الحق الواضح لاهل المنهج الرابح فيما يوافق النقل والتحقيق والاخلاص فمن امتلأ قلبه من نور الله استغنى به عما سواه فكيف يشتغل بخلقه من أقامه بحقه وأما من جعل الخلق شغله فهو الفاقد لبه وعقله ألبس لباس الغفلة الدالة على قلة المنفعة من سبيل الحق فضله فان كنت تريد الخلق الدعاية فما جاء به الشارع فيه كفاية والهدى بيد الله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله وأما الولي بعد النبي فهو ساقط عنه التكليف أعني من شأن الخلق وأما من حيث هو ومن تبع طريقه فلا يسقط عنه التكليف وأما من شأن غيره فهو معافى بالتخفيف لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الآية والنصيحة بين المؤمنين مبذولة على ما يوافق الكتاب والسنة وكل نفس بما كسبت رهينة من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ❁ ثم قال رضي الله عنه (الفتوة رؤية محاسن العبيد والغيبة عن مساويهم) لان رؤية محاسنهم تقيك شرهم وغيبتك عن مساويهم تؤدي الى التسليم بينهم وبين ربهم ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون قال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ومن شعار المؤمن حسن الخلق وترك التكبر ولو على عاص أو فاجر لان لوالب القلوب بيد بارئها فهو مضلها وهاديها لو تكبر الطائع بطاعته لارتدى بسبب كبرته ولو انكسر العاصي من زلته لغفر له ومحيت خطيئته ❁ ثم قال رضي الله عنه (من أخلص قلبه في معاملته تخلص من الدعوى الكاذبة أهل الصدق قليل في أهل السلاح) يعني من أراد العمل الصالح لوجه الله تخلص من الدعوى الخالفة لامر الله فيهذا

يسلم من الدعوى والخطل ويبلغ المأمول مع الامل لان من صدق فى معاملته وأخلص لله فى ارادته واعتمد على الله فى سره وعلانيته أكرمه الحق باكرامه وشهوده وانعامه ومن أحسن المعاملة للمدحة أو الثناء عليه والسمعة وقع فى الدعوى الكاذبة وعبد عبادة محبته لمراد فاسد دنية دنيوية فاهل الصدق قليل اى قلة وهم الذين يعملون لا بعلة ولا لعلة الا لوجه مولاهم فى سرهم ونجواهم قال الله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم ثم قال رضى الله عنه (الفقر فقر مادمت تستتره فاذا أظهرته فقد ذهب نوره) اى الفقر الى الله مادمت تستتره بينك وبين الله لانه من أشرف الحالات ومن أعز المقامات فمن سرت اليه منه سرية اغتنى بها عن كل الخليقة بما فيه من الاسرار المعنوية والفناء بالله واسقاط كل هوية وان لم يكن كذلك فليس بفقر حقيقى ومن تظاهر بفقره وارادته غيره فهذا استتر شرا بخير ومتزى بالفقر ولم يرجع من النكر ذهبت عنه الانوار وبقى فى الظلم والاكدار بدليل قول الجبار مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ثم قال رضى الله عنه (المدعى من أشار الى نفسه انما حرمه الوصول بتركه الاقتداء بالدليل وسلوكهم الى الهوى) يعنى ان المدعى هو الذى يتمكن بالحال أو الاحوال وينسخ الصورة الطبيعية بلفظه فى المقال وهى فانية بالحال باقية بالحال نسخها من كل وجه محال وقصد هذا المدعى التستر بالفناء والحال هو الذى يتصرف فيه ولم يعلم ان من ملك الحال لا يبلغ مراتب الرجال ولو قربت على هذا المدعى تحقيق الفناء ما قام لشئ اذ الفانى عن نفسه لا يشير اليها شيأ والدعوى مشعرة باشارة بقاء النفس والبقاء مبطل للفناء فتحققت دعواه انها من غلبة هواه المشعر بالحال والهبال فمن غلب عليه الهبال أحب أن يمحى الجهال ويتمنى منهم وصفه ليقال تعس من أشار الى نفسه وانتكس من حظيرة قدسه مقطوع من الوصال مرؤس بسكين الخبال محبوس فى قيد الضلال ترك دليله الذى من كتاب الله وسنة رسوله حتى ضل فى سبيله وسلك الى الهوى وعلى صراط الجحيم استوى وعن الصراط المستقيم غوى ومن النصيحة عبس والتوى بئس ما اعتقد وما نوى وما أكنه فى مكنونه وما روى اذا كانت الاشارة للنفوس فماذا للملك القدوس وكيف يدرك الوصول من يخالف الدليل والرسول وكيف يعبد المولى من كان الهه الهوى أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم معاشر العباد الزموا السلوك فى سبيل الرشاد واتركوا الهوى واعبدوا رب العباد فان السبيل اليه واضح والدليل عليه ناصح وهو فى خفى خفيكم رقيب عليكم وشارح ولا تغفروا بالمدعى المتكبر المتبوى الذى لا يسمع ولا يعى ولا يجيب اذا دعى نسأل الله التوفيق على أسنى الطريق لحق مولانا الكريم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ثم قال رضى الله عنه (التوكل توكل بالمضمون واستبدال الحركة بالسكون) يعنى أن المضمون هو ماضمن الحق به من الرزق وغيره يجب التوكل فيه كما هو ضامنه والتصديق له كما هو منزله لقوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون ثم أقسم لهم الذى لم يتحقق بالتوكل بقوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فحركت القدرة فى الارزاق فدلت على صدق

الخلاق فى الحركات والسكون لقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فاذا المكون بأمر مكونه موجود متحرك بالقدرة موجود بالارادة بعد ان كان مفقود فجرت الاقدار ونزلت بها الاخبار واتضح واضحها لاولى الابصار كايضاح الليل والنهار فشهد على ذلك من له بصيرة فخارقة على جميع العالم مشتملة شارقة على ما اتضح من النهار النسيم وعلى ما أظلم من الليل البهيم ان كل شئ محدث بأمر الرحمن الرحيم ساكن فى عروته تحت عظمة العظيم متحرك فى وجوده قائم بأمره القويم اذ لا يعلم شئ غير متحرك بالحركات ولا يغيب عنه علم ما تحرك فى الاوقات والسكنات فكل شئ من المتحركات والساكنات فى أقطار الارضين والسموات رقيمة للقهار عائزات به الآيات وورت فيه الاخبار وله ما سكن الليل والنهار وهو السميع العليم ۞ ثم قال رضى الله عنه (أنصف الناس من نفسك واقبل فى النصيحة ممن هو دونك تدرك أشرف المنازل) يعنى ان معنى الانصاف هو حسن المعاملة لان من لا ينصف من نفسه ظلم غيره لقوله فى الحديث القدسى يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فالظلم بعد العلم ينفى الحكم فاذا انتفى الحكم ثبت الشؤن وقصد الدون وانتشر الملعون لقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون فالانصاف من ذلك واجب ومسنون والمنافاة لذلك الحكم فرض على الذين يعرفون ويخافون الله ويرجون ليقوم الحكم الشرعى المصون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فهذا وجه فى ظاهر الانصاف مناف للخلاف حاكمه شرعى ووجه فى باطن الانصاف يلزم العراف حاكمه عقلى وهو أنصف الناس من نفسك أى أنصف جنود الروح القائمين فى باطن السبوح أنصفهم من جنود النفس فيعنى الوزر لان كل خاطر وحانى عبارة عن جنى شيطانى فالمجاهدة والنصفة واجبة على حكم العقل وجائزة غير مستحيلة فى حكم النقل فواحد من جنود الروح القدسى يهزم ألفا من جنود النفس الجهلى لقوله تعالى كم من فئة قليلة أى من جنود الروح غلبت فئة كثيرة أى من جنود النفس باذن الله أى بنصره تضمحل ظلمة النفس باشراق نوره والله مع الصابرين أى مع المجاهدين بجنود الروح على جنود النفس الموسوسين ومعنى اقبل النصيحة ممن هو دونك أى اقبل الصدق الذى لا تنقضه قولا وفعلا نقلا وعقلا ولو من فاسق مرتكب جهلا فالنصيحة غير واجب من العراف ولو أتت من مرتكب الفضيحة لان النصيحة حق يجب قبولها فى نفسها والقائل بها حظه اللفظ مع وجود خلافها فمثله كمثل من أعطى نورا ليستضى به فاقتبست منه الجيران فوقع لهم نور رضى وهو يحطب على نفسه فوقع عليه النور نارا لبئس المثوى وبئس القرار فلا يأبى النصيحة ولو كانت من البليد الاذوكبر شديد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ۞ ثم قال رضى الله عنه (من لم يجد فى قلبه زاجرا فهو خراب) اى من لم يكن فى قلبه داع الى الله يحركه فيما يرضى الله فمرآة قلبه عما سطموسة ليس فيها ضياء صيقة ما فيها حياء فقفت بمنقار الخناس حتى وقعت مكانا للهنداس لان نور الايمان فيها ميت مقبور والشيطان عليها حى منشور قال وهو عز من قائل فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فمن كان قلبه خراب فهو أخ للدواب بل

Digitized by Google

هو أضل كما ورد في الكتاب قولا دليلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا فتى انكسفت المرآة وقع العبد في الغواية كما ان هذه المضغة عليها مدار السبعة الاعضا في الغضب والرضا وفي الصواب والخطا فتى حصل الخطأ على السبعة الاعضاء فاعلم ان هذا مدار الرحى الخناسية السوداء الطبعية المظلمة الجهلية ومتى حصل فعل الصواب على السبعة الاعضاء واعتمر القلب من الخراب فاعلم أن هذا مدار الملك الالهي المهتدى من نور الروح الرباني فهذا نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وان دارت الخناسية فهو كما مر ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اللهم نور قلوبنا بنورك وأفض على عالم جميع جوارحنا بطاعتك واعصمنا من مخالفتك يا أرحم الراحمين ﴿ ثم قال رضي الله عنه (توكل على الله حتى يكون الغالب عليك ذكره على ذكرك فان الخلق لن يغنوا عنك من الله شيأ) يعني ان من توكل على الله فهو حسبه ومن كان حسبه كان ذكره متعلقا بلسانه وقلبه فتى تعلق الذكر بجنانه فاعلم أن هذا ذكر ليس من شأنك بل هذا ذكر الغلبة فتى انصدعت زجاجة قلبه فلهذا قال المصنف حتى يكون الغالب عليك ذكره فاذا قام ذكره الغرضي مقامك فهذا ذكر وهبي لا ذكر كسبي لان ذكر القلوب موهوب وهو الغالب وذكر اللسان مكسوب يتقرب به الكاسب فمعنى ذكر اللسان اذكروني ومعنى ذكر القلوب أذكركم أي أفتح قلوبكم باسمي فيكون محل الحبي واشكروني كما تقربت اليكم لتعرفوني معرفة علما أنا أهله من المواهب الكثيرة عليكم وبما أنا أهله من الحمد والثناء أي بكل لسان منكم ولو كان بكل شعرة من شعوركم مائة ألف لسان لعجزتم ان كنتم من أهل العرفان عن تحقيق شكر الرحمن كما قال الطاهر الاطهر المطهر سيد البشر سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ومعنى قوله فان الخلق لن يغنوا عنك من الله شيأ أي انهم لن يقدروا على أن يضلوك لان ناصيتك بيد ربك ولا يقدروا على أن يهدوك لان قلبك بين اصبعين من أصابع ربك كما ورد في الحديث كل قلب بين اصبعين من أصابع الرحمن قال الامام أحمد بن حنبل معناه بين جذبتين من جذبات القدرتين ان اهتدى فبقدرة فضله وان ضل فبقدرة عدله فجل الجليل أن يكون ذا يدين ذواتي كفين واصبعين كما يتوهم المختلقون بل هو قادر بغير آلة سوى كن فاذا الممكون موجود من العدم قبل ان لم يكن شيأ في قديم القدم ﴿ ثم قال رضي الله عنه (بالمحاسبة يصل العبد الى درجة المراقبة) يعني بمحاسبة النفس في فعلها النفيس في الطمس يرتفع العبد الى حضرة القدس فيرى الحق حاضرا وعلى مراده ناظرا فيراقبه حق المراقبة كما علمه قادرا والعبد اذا حضر على البساط علم انه قاصر تحت جلال الملك القاهر فان شاء أحياه من نور وجهه الجمالي فرده الى الخلق رداجميلا وأدخله اليه مدخل صدق فأنشاه عما سواه أخرجه مخرج صدق الدعاية فيكون داعيا لمن سبقت له العناية فيربيه ويجدوه حتى يوصله حضرته لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وان شاء جعله غريقا في بحر الوحدانية غائبا عن عالم الروحانية وعالم الانسانية فوقع له ذلك البحر الغزير لسره السرير كالبرزخ الغفير فيبقى مستغرقا في نور الملك القدير وفيهم من هب عليه من نفسه

ريح عاصفة فنشأت منها سحابة مثلثة وبرقت منها بارقة خاطفة ورعدت فيها راعدة قاصفة ونزلت منها صاعقة على أرض العقول فخسفت ونزل من سحابها مطر على أرض النفوس فوسوست ثم على أرض الاجساد فعصت لان من شأن النفوس اذا ما حوسبت أن تدعى على سلم المرقى ولو ما زكت فمثلها كمثل الارض اذا ادعت الرفعة على السماء وقالت بلسان مقالها ولسان حالها عين الشمس في والصقت في السماء فهذه دعوى منلوبة مستحيلة لا يقبلها نقل ولا يقبلها عقل كذلك مثل النفوس اذا ادعت انها الواصلة الى حضرة القدوس فليس للنفوس حضرة وان زكت في مذهب تحقيق أهل الصلاح انما الحضور في الرفيق الاعلى خصت به الارواح والنفوس تطهر من المعاصي وينفسح الصدر بالانشراح والدليل على هذا كلام الملك القدوس بقوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها وقال صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم قال رضي الله عنه (فقد الاسف والبكا في مقام السلوك علم من أعلام الخذلان) يعني ان تحقق ترك البكا والندم على المعاصي دليل على خذلانك واستزلال شيطانك فوجب عليك التوبة والرجوع عن المعاصي لتحث في المسير وتشمر في الآتي لان الاسف والبكا هما ريشتان من جناح الخوف والعمل ولطمع ريشتان من جناح الرجا فمن فقد الريش في حال سيره وتربيته لم يطلع بأجنحته فهذا هو الخذلان البين لاهل البصائر بالعناية ومثله كمثل دابة جميعة ساقطة عن رتبة الانسانية القائمة بالهيئة الروحانية فهذا مثال من قام بنفسه وسلك بلا استناد يكشف له الحجب عن عين قلبه فيمشي مشي الدواب كمن لم يرتفع عنه الحجاب بشاهد قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه وهي الخطرات النفسانية ومنهم من يمشي على رجلين وهي الصور الجسدانية ومنهم من يمشي على أربع وهي الطباع الخسيسة المعروفة بالصفراء والسوداء والبلغم والدم وكل شيء منها متطاول على صاحبه يريد أن يغلبه فالصفراء حقيبة والسوداء خيلية والبلغم كسانية والدم جذامية أو برصية فلا تعتدل هذه الطباع الا بكثرة الطاعة وكشف القناع ليربو طائر الروح بصلاح السر من الفساد فتطلع اجنحته كما خرج من صدفته فيطيره الاستاذ الى حضرة رب العباد كما قال وهو عز من قائل ففروا الى الله أي على طائر الروح بأجنحة الخوف والرجاء اني لكم منه نذير مبين اي دليل صادق أرفع الحجب عن نواظركم حتى تصلوا حضرة ربكم فهو ولي وزوليكم فهذا هو العطاء بغير حساب ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم قال رضي الله عنه (اذا سلا القلب عن الشهوات فهو معافى) يعني اذا انتفى عن القلب خطرات النفس وخطرات الشيطان وبقي خاطر الملك وخاطر الرحمن تعافى من مرضه ووقع بتالله يسعه وسع علم لا وسع احاطة كما قال في الحديث القدسي لم اوسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اي وسع علم وتحقيق يقين لا وسع احاطة وتعيين فاذا طهر القلب بذلك لم يبق فيه متسع لغير أرحم الراحمين ثم قال رضي الله عنه (من لم يستعن بالله على نفسه صرعته) يعني من لم يستعن عليها باتباع أوامره واجتناب نواهيه وزواجره صرعته اي اماتته عن سبيل الحق الى سبيلها فوقع قتيلها ومن استعان بالله على نفسه في يومه وأمسه صرعها

وبسيف الحق قطعها ففنيت عن بقائها وبقيت بنور ربها وأقبلت على مولاها ووقعت محلا قابلا لفضله الواسع فعند هذا تقول اليك يا الهي يرغب الطامع ويلتذ بمناجاتك السامع فتكون نفسا من رعونتها خارجة ولفضل مولاها راجية فينادي يا منادي لاهوتة نداء يختص به من بين بريائه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ثم قال رضي الله عنه (من لم يقم بآداب البداية كيف يستقيم له دعوى مقامات أهل النهاية) يعني أن من لم يخلص في معاملته مع ابتداء ارادته فقد اعتلت عليه معاملته ولم تصح نهايته وكيف تصح النهاية مع وجود الخلل في البداية فآداب البداية القيام على الحد الشرعي من الخلل المردي مع انتفاء ذلك الخلل قولا وفعلا ومرادا فهذا هو تحقيق الاقامة على الحد واتباع العمل المرضي من غير توان مع تحقيق ان الله عليه رقيب فيكون منه مستحييا كما قال اعبد الله كأنك تراه أي أخلص العمل لوجهه لا لسواه فانه يرى الرأي يعلم مرادك وما تريد بعملك فاذا حصل العمل وخلص المراد لرب العباد فهذا هو أساس البداية المؤدية الى النهاية فان حصل العمل وفسد المراد فبئس البناء قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ومن خالف أمر الجبار وادعى انه على شيء من الاسرار فهو كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار أترى ان الارجل تمشي بلا راس أو قط رأيت البيت قائما في الهواء على غير أساس فكذلك يكون مدعي النهاية مع وجود الخلل في البداية لا تثبت دعواه على مدعاه الهي أفض علينا نورا نهتدي به اليك من ظلم أنفسنا وخلصنا من الدعوى الكاذبة بحق محمد نبينا انك أنت الله الكريم حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال رضي الله عنه (اطرح الدنيا على من أقبل عليها وأقبل على مولاك ومن يتفرغ من اشتغال الدنيا اقامه الحق في خدمته) أي اترك حب الدنيا المغفل الذي يشغلك عن الله وأقبل عليه بما طلبك تنل رضاه فرغ قلبك من السوى يكن بيتا للمولى وتكون عبدا للحق لا للخلق لان الدنيا خلق ضعيف وحبها حب كثيف فمن آثر الدنيا على مولاه فاتته الآخرة فوقع عبد هواه أما سمعت كلام الله يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن آثر حب آخرته على دنياه نال منا ما من مولاه وما قسم له من دنياه لابد أن يعطاه لان الآخرة خلق شريف وحبها لطيف ولا يستحق المخلوق الحب على خالقه فهما خلقان حب الدنيا يصد عن الآخرة وحب الآخرة حجاب عن الله فمن أقبل على الله انقادت له الدنيا والآخرة كما أنهما مسخرتان للعباد فطريق أهل الدنيا ايثارها على الآخرة وطريق الزهاد ايثار الآخرة على الدنيا وطريق العراف ايثار الله على الكونين فيعبدونه حق عبادته طمعا في مشاهدته ويؤثرون حب جلاله على دنياه واخرته فلما علم صدقهم بشرح صدورهم وفر في الدنيا نصيبهم ورفع في الآخرة درجاتهم واعلى مقامهم ووضع عقولهم وصفى اذهانهم فهم واقفون في السدرة مشهد الخلق عندهم خفية ومشهد الحق جهره فوجدوا العالم باسره مسخرا لهم وهم عباد لربهم على حسب معنى ما تضمنه كلام الله واصطفيتك لنفسي اي لحضرة قدسي وقوله مخاطبا لداود عليه السلام يا داود خلقت الاشياء من أجلك وخلقتك لاجلي

فاشتغل

فاشتغل بما خلقت له وما كان لك فهو يأتيك فمن اقامه الحق لخدمته فهو موفر لفطنته لان
الخادم للحق مقطوع عن الكونين مشاهد للمكون بلا أين تطلبه الاكوان وهو معرض
عنها حتى وقف في حضرة دنا فناداه منادي الحق الحقيق من وراء ستر رقيق حين استقام
ووقف يا عبد ناخذ الكونين وما فيهما لا تخف ❁ ثم قال رضي الله عنه (شتان ما بين من همته
الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور) يعني فرقان ما بين الهمتين
فالهمة الى القصور والحور لاشك انها همة فيها قصور لان الحور مخلوقات والجنة
والهمة مخلوقتان فمخلوق قصد مخلوق على ان الجنة لا يصح احتقارها لكن وقع طلبها حجابا
لحق خالقها واما من همته الى الحضرة فقد رفعت عنه الحجب وحظي بالنظرة فوقف في حد
حده في الازل بسابق عناية من لم يزل وذلك الحد هو السدرة فهذا عالم بالله وواجد وموفق
مشاهد وفي الآخرة كذلك بل ربما قوى اليقين لشهود أرحم الراحمين فيجب نفي
الكيف والاين ونفي الاحاطة والحدود لذات الواحد المعبود فالكيف ساقط لمن سأل
عن الكيفية كما قد أجمعت العلماء بالله في طريق الصوفية على قولهم والكيفية مجهولة
كذلك الاينية غير معقولة لمن قال أين ومالم يعقل لم يطلق عليه الحصر والكيف والاين
معلوم بالوجود ووجوده مطلق أزلي مالا نهاية ولا حدود وذلك مشهد من رفع عنه الحجاب
وعلم باليقين بعلم أم الكتاب وذلك علم خفي لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ❁ ثم قال رضي الله عنه (العبد من انقطعت
آماله الا من عند مولاه) يعني ان العبد من انقطعت عنه المألوفات الحديثة باسرها أي انقطع
عنه حبها حتى رآها دالة على ربها لانه سبحانه انما أوجد المحدثات لتعرف موجدها
لا لوجودها في نفسها والمحدثات هي ماسوى الله كالعرش وغيره لان جميع العالم دليل على
العلام قال في لطائف المنن عن ابن عطاء الله الشاذلي في قوله نافيا للعالم بأسره مثبتا للعالم بأسره
لما نصب الكائنات الا لتراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من
حيث كونها فهذا تحقيق قطع الآمال الا من عند الفرد الجلال فمن انقطع أمله من
غير الله مات هواه ومن مات هواه لحق بمولاه ❁ ثم قال رضي الله عنه (المحفوظون على
طبقات) أي على أوجه متنوعات لقوله تعالى ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقوله أيضا
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ❁ ثم قال رضي الله عنه (محفوظون عن الكفر والشرك
بالهدى) الشرك هو الكفر بالله والجحود كشرك النصارى واليهود فمن احتفظ من ذلك
اهتدى بالهداية وهي كلمة الشهادة على الترتيب مقدما كلمة لاهوتيته على الاقرار بكلمة
الرسالة واللاهوتية هو قوله لا اله الا الله مترجما بها جنانك حاضرا بها لسانك متبعها
بالاقرار برسالة المختار بقول وأشهد أن محمدا رسول الله غير قادح في رسالته مؤمنا بيقينه
فلا يغني الاقرار بكلمة اللاهوتية دون الاقرار بالمحمدية كاقرار اليهود ولا يغني الاقرار
بالرسالة دون اللاهوتية كاقرار النصارى بقولهم الصريح ان الله هو المسيح غلوا في دينهم
بقولهم في رسولهم انه ربهم ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله أنى يؤفكون فاحفظ من الشرك هو الاقرار باللاهوتية والاقرار بالرسالة على

Digitized by Google

الترتيب كامر خلافا لمن قدم فيه وأخر وتهود وتنصر فالحمد لله الذى هدانا بهدايته وحرسنا من الاديان المختلفة بحراسته فهو الواحد لا الهسواه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ۞ ثم قال رضى الله عنه (ومحفوظ عن الكائر والصغائر بالعيان) معنى العيان النظرى الموجود هو اتباع سنة المعهود ليقوم الاسلام بعد الاقرار بكلمتى الشهادة على قواعده الاربع وهى الصلاة والصوم والزكاة والحج الى بيت الله الحرام فهذه الاربع القواعد هى العيان مع اتباع الرحمن واجتناب الكائر كقتل النفس وشرب الخمر وكذلك الصغائر كالغيبة والنميمة فهذا تحقيق الحفظ لنبيه عما زجر عنه واتيانه لما أمر به فواجب على كل مكلف شرعا ان يراقب مولاه ولا يعبد سواه وأن يعلم ما يجب له من التنزيه فى أفعاله وفى صفاته وفى ذاته ويعلم ما ينفى عنه كالشريك وغيره ونفى المماثلة والمحالة فى المحدثات كالعرش وغيره من الجائزات الى منتهى قرن الثور الحامل المحمول والى نهاية التراب المبلول وماوراء ذلك من الآخرة فسبحان من تنزه عن الفانية والحاضرة من غير ان يفوته شئ من علم الدنيا والآخرة لقوله تعالى وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين وأن يعلم ما يجوز فى حقه كايجاد المعدوم واعدام الموجود اذ ذلك جائز فى حقه غير واجب عليه وجائز أن يخص من يشاء برحمته اذ ذلك على الخصوص منة كرامته وجائز أن يضل من يشاء بقدرته اذ ذلك بعده عن المعبود باهانته ومن جائزاته أن يعذب المطيع ويغفر للعاصى فمن علمه بذلك وجب عليه ان يراقبه لقوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فمن علم بهذا الترتيب فهو فى زمانه غريب فهذه حماية العيان بكرم المنان والحمد لله الذى عرفت به واجباته بدلالاته وعرفت جائزاته بظهور مخلوقاته وعرفت مستحيلاته بنفى المثل فى فعله وصفاته واسمائه وذاته من غير اعطال وابطال ومن غير ان يكون فى شئ حال والحمد لله وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (ومحفوظ من الخطرات والغفلات بالرعاية) يعنى بحق اليقين رعاه الحق وحفظه من الالتفات الى شئ من المخلوقات ولا الى حال من الاحوال والمقامات فهذا حفظ الانبياء وخصية أهل الولايات عرفهم أن ماسواه من العلويات والسفليات أنها على من استحضارها من دونه آفات فلا يخطر ببالهم سوى مولاهم لانه قدمات هواهم فشاهدوه وباينهم وباينوه باينهم بما هو أهله عليهم من التجليات ومن العطايا والمواهب الجزيلات وباينوه بالوقوف فى الاسماء والصفات كما علمهم انه جائز فيهما الوقف كما جاز فى الذات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته وقال صلى الله عليه وسلم يعتبر المعتبرون فى مخلوقاته ولا يفكرون فى ماهية ذاته فالعلم الواجب الوجود واجبه بلا كيف ولا حدود وكذا الوقف من أوجب الواجبات فى ذات المعبود وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (من أعرض عن الاعراض أدبا فهو الحكيم المتأدب) معنى الاعراض هو ماسوى الله من جميع ما فى العالم سواء كانت معانى أو اجراما أو اجسلما يطلق عليها اسم العرض فمن أعرض عنها أدبا لله احتفظ قال المصنف هو الحكيم أى العليم بما علمه الرحمن الرحيم من الحكمة اللدنية ومن المعارف الربانية حتى استحضار مولاه على ما فى الوجود فهذا هو

الادب

الادب بالمعرفة والنصب من أعرض عن العالم وما فيه تأدبا لباريه ومن استغنار عرضا هبه
عن أنس الحق وقربه وان كان ذلك العرض حالا معنويا بل لو لم يغب عنه لكان عليه حجابا
قويا ليس الرجل الواقف بالاعراض انما الرجل الذي لم يكن بشيء دون مولاه راض لكن
الاعراض عن الاعراض شديد الا بتوفيق الفرد الحميد ﴿ ثم قال رضي الله عنه (المحبة
الانس بالله والشوق اليه) يعني ان المحبة منه سابقة في أزله بقوله يحبهم ولاحقة في الوجود
بالعبودية والاتباع لامر الربوبية بقوله ويحبونه فمن قربه لطاعته وآنسه بفهم معرفته
فقد تحقق بمحبته فالمحبوب لا يأنس الا بمحبوبه ولا يطلب شيأ سوى مطلوبه والمحبة
مراتب حب بالتوبة والاشارة اليه بقوله ان الله يحب التوابين وحب بالاوبة والاشارة
اليه بقوله تعالى نعم العبد انه أواب وحب بالذوق وهو خاص الحب وعظم القرب ولذيذ
الشرب وخص بذلك خاتم الانبياء والاشارة اليه بقوله تعالى دنا فتدلى ومن بعده خاتم
الاولياء فمن كان بعده أقرب اليه كرامة بدلالته فهو أشدهم عملا وورعا واستقامة بالله
التوفيق ﴿ ثم قال رضي الله عنه (شاهد مشاهدتك ولا تشهد بمشاهدتك له) يعني ان
مشاهدتك ليست تحصر لانها من علمه وعلمه صفة كشف بشكشفه ما في العالم باسره باشتماله
عليه ليس بخارج منه اذ هو مطلق الوجود وعلمه كذلك لا تحويه الحدود فاذا شاهدته
بهذه المشاهدة سقطت منك مشاهدة الحدث والاجرام ومشاهدة العادة فهذا هو تحقيق
مشاهدتك لا فيها حد ولا فيها أين ولا عندولا كيف واما مشاهدتك له فلا تخرج من هذا
كله فشيء يتوجسم وجرم وحد وعند وكيف اما الكيف فهو في طريقك واما العند فهو
في السدرة واما الحد فهو حد حدك فيما في سابق الازل وأما الجرم فهو لطيفك وأما الجسم
فهو كثيفك وأما اليقين فهو بصيرتك فهذا كله حدث بدايته ونهايته فبدايته توجه
الاجسام والاجرام ونهايته في حده الحدود في السدرة والسدرة هي العرش المجيد وهو
حجاب على العالم بأسره دال على عظمة العظيم وقهره فالعالم باسره تحت العرش ومجده
كخطيئة باء والعرش تحت عظمة العظيم كذرة هاء فاذا علمت بهاتيك الاوصاف ونظرت
اليها بعين الانصاف لزم طرح شهودك لانه يحدث الى حدث كما قدمر قريبا ان بدايته جسم
ويوم ونهايته حد حده في السدرة فلا تشهد مشاهدة الحدث الا بترك الحدثات كلها من
أقصى السدرة الى منتهى اليهموت كانه لا شيء مع مشاهدة الحي الذي لا يموت فافهم ذلك
وتأمله فان فيه طيشي الاوام ويثبت الاقدام بفضل الله العزيز العلام وبالله التوفيق
وعليه الاتمام والحمد لله ولا اله غيره ﴿ ثم صرح المصنف بقوله (من لم يخلع العذار لم ترفع عنه
الاستار) معنى هذا زيادة بيان لنفي ما دون الرجعن لان العذار هو ما قيدك وجعلته مقصدك
من حال أو مال أو آل فهذا كله يسمى عذارا فقال من لم يخلع أي من لم ينف عذاره الذي
يحيط به باره لم يزح عنه استاره كما قدمر قريبا في معنى المشاهدة أي معنى خلع العذار ونفي
مشاهدتك قريب من ذلك ليس بينهما مباعدة كما قال قريبا من لم يقبل شهوده لم ينل مشهوده
لان العالم وما فيه عذار فلا بد من ترك جميع مشاهدة الواحد القهار وبرهان ذلك من قوله
القديم المصون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الآية ﴿ ثم قال رضي الله عنه (الاسرار)

المقيدون على مجاهم والتفصيل يأتي بعد ۞ ثم قال رضي الله عنه (أسير نفس) أي مملوك لها
نصرته في مرادها فمن ملكته نفسه وقع في نحسه لان ملك النفس مسرف وسورها متلف
وعملها ردى في الدنيا عار وفي الآخرة نار وسخط الجبار نعوذ بالله من ذلك ونسأل الله
السلوك في أشرف المسالك انه ولي ذلك ۞ ثم قال رضي الله عنه (وأسير شهوة) معنى
الشهوة أمر زائد عن النفس كشرب الخمر وأكل الحرام والزنا وغيره فهذا من شهواتها ومن
مرادتها فمن أسرته أمرته بالسوء كما وصفها بارئها ان النفس لامارة بالسوء فمن عرفها انها
غرارة قتالة وجب عليه قتالها وخلافها في كل ما أمرت به ۞ ثم قال رضي الله عنه (وأسير
هوى) معنى الهوى هو أمر من الشهوة كالغيبة والنميمة ومشهد الزور وحكم باطل وغيره
من الهويات الرديئات فمن وقعت فيه واحدة من المذكورات جازهن أجمع كما أن الهوى
من الشهوة والشهوة من النفس فهما لا يفترقان فهذا وجه ظاهر ووجه باطن فمن ارتكن
الى مرتبة فهو أسيرها أو الى الجنة من دون بارئها فهو عبدها والاجير والاسير سواء ومن
ارتكن الى شيء حالا أو مقاما أو مالا فهو من جملة الاسارى لان جميع ما في العالم خلق
يجب الاعراض عنه حياء من خالقه وثقة بالله دون غيره لان النهي عن الركون الى الحال
والمقام والمال والآل نهي كراهة لنبوت حب الله والنهي عن النفس والشهوة والهوى
نهي تحريم لثبوت أمر الله والله أعلم ۞ ثم قال رضي الله عنه (أغنى الاغنياء من أبدى له الحق
حقيقة من حقه) أي من خصه بشيء من الخصوصية فهو غني بها بين البرية لان التخصيص
بشيء زائد لا يقع عليه عابد ولا زاهد فيه ازالة المانع عن بصيرة من خصه بفضله الواسع
فرأى نور الحق الساطع فيتحير في ذلك فلم يبق في قلبه لغير الله واسع فهذا تحقيق ابداء
الحقيقة مع فناء الخليقة أسبلت أنوار ذاته من وراء أستار رقيقه فهذه كرامته لمن شاء
لحضرته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۞ ثم قال رضي الله عنه (وأفقر الفقراء
من ستر الحق عنه) يعني من احتجب عليه فأي فقر أعظم من الحجاب بل هو عين العذاب فلو
كانت الدنيا والآخرة لرجل واحد من دون خالقهما فهو فقير ناقص حقير أيستوي من كشف
له الحق الحجب عن نور وجهه ومن شغله بشيء من دونه فمن أغنى ممن وجد ربه ومن أفقر ممن
فاته أنسه وأحرمه من قربه شواهد الفقر من الله حب الاغيار والاعراض عن الطاعة
والاذكار صاحب هذا الفقر اليوم مستور وأما غدا في يوم النشور فهو ينادي بالويل
والثبور اذا عاين الحور والقصور وعاين العيون والنور وعاين النار والجحيم وحق
العذاب الاليم وحق الفقر فلا ينفع حميم حميمه ووجد ما كسبت يمينه فكثرت حسرته
وقويت عثرته وجرت بالدماء دمعته ونادى منادي الحق فاسمع كل الخلق بقوله تعالى وقال
الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا
عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اللهم انا نسألك ان تغنينا برحمتك التي توجب لنا منك في
الدنيا حسن المتابعة وعند الموت حسن الخاتمة وعند الحساب المسامحة والى الفردوس
بلغنا جوار محمد صلى الله عليه وسلم نبينا ولا تحجبنا عن تجليات ذاتك التي وعدت بها عبادك

مطا بدقا عظيم

الله لا يخلف الميعاد ۞ ثم قال رضي الله عنه (الخالي من الانس) أي بالله (والشوق) أي الى الله (فاقد للمحبة) أي معدومة عليه غير موجودة فمن فقد عليه حبه كيف يأنس بقربه لان المحبة تخصيص والفقد تخصيص ۞ ثم قال رضي الله عنه مقسما لانواع الفقد عاطفا له عليه فقال (ولا رواح الرعاية ولا شباح الوقاية) أي وفاقد لا رواح الرعاية ومعنى أرواح الرعاية الانشراح بنور الطاعة والانس بالله فمن فقد ذلك فهو في هواه هالك عاند بعمهه في غفلاته أسير في شهواته خاتمة الاقدار وعميت فيه الابصار ومعنى أشباح الوقاية هي الطاعة الظاهرة فمن فاتته الطاعة فاتته الرعاية لانهما روح وجسد فلا فرق بينهما عند كل أحد وحقيقتها المحبة وهي تخصيص كامن فمن فاتته الطاعة جهل ومن فاتته الرعاية أهمل ومن فاتته المحبة حجب ومن أسدل عليه الحجاب لم ير أين الباب ولم يدر ما الخطأ وما الصواب وتحقيق الدراية هي الرجوع عن الجناية قبل فعل الجناية قال الله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه الآية ۞ ثم قال رضي الله عنه (نافخ الكير ان لم يحرقك بناره آذاك بشراره) يعني بنافخ الكير هو الجاهل أو جليس السوء المتجاهل الذي لم يرده الحد ولا يطرق قلبه من الله خوف يحمد فاحذر صحبته واجتنب مجالسته فانك ان لم تفعل بفعله في هويته أصابتك مصيبة بسبب متابعته ولم تسلم من أذيته قال صلى الله عليه وسلم مثل جليس السوء كمثل الحداد اما أحرقك بناره والا آذاك برائحته يعني برائحة نتنه وقال صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أهل البدع فان مجالستهم تميت القلب فاذا بانت لك معرفة الاشرار الذين لم يجتنبوا الاوزار لزمك منهم الفرار لان الشر فيك مخفي فاذا سمع المنادي وثب اليه مسرعا عجلا ولم يرجع عنه وان كانت دعايته لا تقتضي زللا وخطلا قولا وعملا فمن لم يحذر مجالسة الاشرار عمل بعملهم في هذه الدار ودخل معهم غدا في النار أما سمعت كلام الجبار محذرا لعباده من متابعة عدوهم الغرار حين حق عليهم القول فابدى لهم الاعذار بقوله الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وقال وهو عز من قائل كريم يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية ۞ ثم قال رضي الله عنه (حامل العطر ان لم يحذك عطره متعك بنشره) معنى حامل العطر هو العالم بالله الداعي لامر الله ان تبعته في طريقة الاخلاص فان لم يحذك بها متعك بنشر رائحتها فيريح قلبك من شمها لان شمها هو التعليم فيه يفيض عليك نور العلي العظيم فمن جالس الاخيار احتفظ من الاشرار وشم رائحة الاسرار وداد ووقار فيعبد الله كما هو أهل العبادة فيسلك سبيل رشاده ويتبع طريق السادة الذين سبقت لهم من الله السعادة المخلصين لله في عالم الغيب وفي عالم الشهادة أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم زاحموا العلماء ان عندهم مفاتيح الجنان أولئك عباد الرحمن لا يستوحش جليسهم ولا يخيب نزيلهم ولا يضل سالك طريقهم ولا يزل في طريق المعارف مريدهم ان خاطبوا ألانوا وضحوا بالبيان وان خوطبوا وعوا المريد للصيان وصفهم المولى جل وعلا بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم

فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴿ ثم قال رضى الله عنه (من ضيع الفرائض فقد ضيع نفسه) قد تقدم الكلام على ان معنى الفرائض بعد الاسلام هى الصلوات الخمس وصوم رمضان وحج البيت وأداء الزكاة فمن ضيع الفرض اقتضح فى يوم العرض فقد ضيع نفسه بنفسه وأما الله فهو غنى عنه وعن أيناء جنسه لا يزيد فى ملكه طاعة من أطاعه ولا ينقص فيه عصيان من عصاه بل تيسيره للطاعة بفضله وتيسيره الى المعاصى بعدله لقوله تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه الآية وقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ولنهيه عن المعصية ولمن اتخذها سبيلا فزل به دليله بها والمراد عن فعلها بعد تقديرها وخلقها لقوله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون وغير ذلك من الآيات البينة وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فمن هنا يتبين لك ان خلق المعصية من الله وفعلها واكتسابها من العبد ليس هو بأمر الله لانه نهى عنها وأوعد بالعقاب عليها وان الطاعة خلق من الله وفعلها بتيسيره على العبد لانه ندب اليها ووعد بالثواب عليها ونفت الجبرية الكسب على بجهل وقالت العبد لا يعذب باكتساب الشر ولا ينعم باكتساب الخير وأثبتت القدرية الكسب وقالت ان العمل لا بتيسير الله فاتخذوا لهم عدة لهم لا بفضل ربهم فضلوا وأضلوا وذلك حكم باطل لا يصح للجبرية تفهيم ولا يصح للقدرية اثباتهم * (تنبيه) * اعلم ان الباري جل وعلا خلق كل نفس فى عين اختيارها وأتقنها بحكمته البالغة كما شاء فى جبرها وحقيقة الجبر خفية يصعب تحقيقها فلا بد أن أبينه على ما تيسر فى تحقيق الجبر فاقول وبالله التوفيق وعليه الاعانة والتحقيق اعلم ان كل نفس خلقها الله محل قابل لدوران تدور فيه اقدرة فضله وتدور فيها قدرة عدله كدوران الليل والنهار فى الارض فقدرة العدل ظلمانية وهى فى شمال النفس وقدرة الفضل نورانية وهى فى اليمين وجعل الحاكم العقلى مديرا على رأس قدرة الفضل وجعل الحاكم الجهلى مديرا على رأس قدرة العدل والصورة جامعة لذلك كله فهذا تحقيق الجبر فى عين الاختيار ونهايته بعد الجبر والقدر قال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر ثم بعد ذلك الاقتدار والانتهاء تكلف البالغ باتباع ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه اقتداء بالمرسل واستئالا للمرسل ليكون نذيرا كما قال تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال أيضا اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير فان ظهر بجحدان فى كافر فهو من قدرة العدل المجبور عليها وهو منهى عن ذلك بداعى الاسلام فصار الكفر جبرية وان ظهر اسلام فى مسلم فهو من قدرة فضله المجبور عليها فصار الاسلام من بعد صفته خيرته وكذلك الطاعة مرتبطة بقدرة الفضل وتصدر منها وتعود اليها والمعصية مرتبطة بقدرة العدل تصدر منها وتعود اليها والحاكم اذا فى رأس قدرة العدل الجهل وهو الذى اعتقدته القدرية والجبرية على أهوائهم ومن تابعهم من الضلال قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا والحاكم على رأس قدرة الفضل العقل وهو الذى جاء عنه النقل فاعتقدته طائفة أهل الكتاب والسنة أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب ﴿ ثم قال رضى الله عنه (من لم يصبر على نصبة مولاه ابتلاه الله بنصبة العبيد) أى من لم يصبر على العبودية

والطاعة

والطاعة والعزلة في الخلوات عن الخلق ليستأنس في الحركات والسكنات بالله الملك الحق ومن لم يضبط الانفاس والاوقات للملك الحميد ابتلاه الله بحصبة العبيد فالالتزام بالعبد أن يكون دائما مشغولا بذكره مستغرقا في فكره فبذا يكون مولا أنيسه وجليسه كما قال في الحديث القدسي أنا جليس من ذكرني فهذا معنى الصبر على صحبة المولى والانس بالفرد الاعلى والاجل الجليل عن أن يكون ذا أصحاب واخلاء كما يتوهم الهبلاء وبرهان ذلك من كلامه الشفا الجالي القلوب من الصدا قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا والمقصود بذلك اظهار التنزيه ونفي التشبيه ونفي المماثلة والمخالة والمحالة على محمل صحيح وبرهان صحيح وحق صريح من غير ان يكون شيء عاطلا فلو كان شيء منه عاطلا لكان مستحيلا باطلا وان سمعت معنى الخالة لابراهيم عليه السلام حيث قال واتخذ الله ابراهيم خليلا فليس المراد بها صحبة كما يتوهمه أهل الجهالة تنزه الجليل بجلاله انما المراد خلا قلبه من حب الاغيار فملأه من الاسرار فسمي خليلا أي خلا من كل غير الله فملئ بحب الله فهذا معنى الخلة وبالله التوفيق ❁ ثم قال رضي الله عنه (من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه) أي من عرفها بنور الله كما قال صلى الله عليه وسلم أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه فمن عرفها لم يزكها ولم يؤهلها للمعرفة فكيف يؤهلها للمعرفة فمن لم يزكها عن الاعمال القبيحة فمؤهلها الله والمزكي لها الله قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى والمتقي هو شيء من الله وضمي وهو الروح كما قال فاذا سويته أي كامل الاجزاء ونفخت فيه من روحي فالروح هو المتقي لانه من روح الله فمن عرف نفسه بنور روحه لم يغتر بالثناء والمدحة ولم يمل مع نفسه الى العجب والسمعة وبالعكس من لم يعرفها بنور الله قادته الى هواها وتسوقه الى رضاها ان أطاع هو ليقال وان لم يطع هو مع العقال والاشارات في دقائقها طوال فمن لم يعرف دسائسها لم يخرج من شبك الضلال فثناء الناس دليل الياس من يفتقر يصبح الا فقير في اليوم العبوس العسر قال وهو عز من قائل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقال في سورة لقمان الحكيم في وصف وعظ لقمان لابنه يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير وكذلك الشتم ضد الثناء لا يضر من عرف نفسه أن شتم بل ربما ازداد به يقينا وتحقيقا وتمكينا قال وهو عز من قائل واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ❁ ثم قال رضي الله عنه (الدعوى من رعونة النفس المدعي منازع للربوبية) قد تقدم الكلام فيما سبق ان المدعي هو الذي يتكئ بانه الحال أو الاجوال وينسج الصورة الطينية بلفظه في المقال وهذا شيء محال لان اللطيف لطيف والكثيف كثيف والعبد عبد ان علم أو جهل والحق حق ان عرج أو نزل والرب سبحانه منزه تعالى عز وجل ليس كمثله شيء ولا له شبيه مثل أو جد الخلائق وأعدمها وهو باق لم يزل لكن من تغير بهواه دائرة حسه أشار الى نفسه فطلب الاشارة من أبناء جنسه ومعنى منازع للربوبية أي مشارك لها يتقدم القدرة ويتأخر عنها بانها له في

أفعالها وخيرها وشرها والنزاع للقدرة صفة من تفرعن والاشراك للربوبية صفة من تسحر وتكهن فمدعي الربوبية فرعون ونمرود ومن تابعهم بالدعاوى والكفر وكبار الجدود فمن كان الهامع الله لزعمه ان يوجد المعدوم من العدم أو ان يعدم الموجود كما يكن شئ في قديم القدم وهذا محال ليس مع الله شريك ولا اله ولا احد من المغترين بربوبية سواه قال وهو عزمن قائل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون لا اله الا الله وحده لا شريك له ارغاما للمفترين ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون والحمد لله الذي أوضح البيان بالدليل والبرهان والشهود والعيان وبالله التوفيق انتهى وهو عجيب جمة ومحجة ﴿ ثم قال رضي الله عنه (ازعاج القلب لروعة الانتباه أربح من أعمال الثقلين) معنى الازعاج هو الحركة في القلب لينتبه من غفلته فيعبد الرب لحركة القلب لطيفة معنوية شريفة وعبادة الثقلين كثيفة ظاهرة عادية معدومة التحقيق والعرفان ولو أتت مستوية على الاركان وقد بين شرف القلب على الثقلين في حديثه القدسي بقوله ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن أي سعة يقين وعيان لحقائق الايمان لا وسعا يقتضي الحصر ية والظرفية ولا يروم المماثلة فتلك الحكمة في القلب هي العلم بالله والعلم بذلك هو الراجح على عبادة الثقلين وبالله التوفيق ﴿ ثم قال رضي الله عنه (أبناء الدنيا تخدمهم العبيد والاماء) معنى أبناء الدنيا هم الذين طلبوها من دون الآخرة حتى نالوها قال وهو عزمن قائل من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب لانه استحارها على الآخرة وعلى مولاها فهي قسمه وشغله وهمه ولو تنعم بالاماء والخدم فغدا يبكي الدم فمن كانت الدنيا مقصده نسي في الآخرة موعده والى أين مهربه ومشرده قال وهو عزمن قائل كريم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار وقال أيضا ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الحب المغفل عن الله الذي يملك القلب ويحاصر العقل المسكر من غير خمر كما قال سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ ثم قال رضي الله عنه (وأبناء الآخرة تخدمهم الاحرار الكرماء) يعني بابناء الآخرة هم العباد والزهاد والصوام والقوام الذين يعبدون لاجلها فنعوا بها من دون خالقها فجعل فيها أجرتهم فتخدمهم الاحرار أي الحور المكنونات في قصور من نور زهدوا في الدنيا حتى نالوا الآخرة قال وهو عزمن قائل كريم من كان يريد حرث الآخرة نزدله في حرثه أي يزداد فيها على مقدار همته يزداد من النعيم المقيم ومن الخلد الابدي المديم ومن كان يريد وجه الله الكريم ومشاهدة عظمة العظيم فليرفع المهمة ويقوى العزمة يغيب عن الكونين وعن رسمه وعن نعته واسمه ينال منال المقربين جار الانبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وقال أيضا واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب وقد تقدم الكلام في دلالة الهمة ورفعة بعضها على بعض ﴿ ثم قال رضي الله عنه (أهل الرياضة في المعاملة مع الالتفات الى الاعمال حجبوا بالاعمال عن المعمول له) يعني من نصب شيأ من عمله حجبه عن أنس الحق

وقربه

وقربه فمن ارتكن الى عمله خاب أمله قال وهو عزمن قائل كريم بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية لان العبد لا يستحق المغفرة من مولاه الا بالفضل لا بالعمل وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى للعمل لا بد منك وبك لا نصل والعمل سبب لا بد منه لكن سبب غير مؤثر فمن اتخذه سببا مؤثرا الحق بالقدرية الضلال ومن نفى السبب وقد أمر به وقال ما هو على شئ الحق بالجبرية الجهال قال وهو عزمن قائل كريم والله خلقكم وما تعملون لان العمل خلق والعامل مخلوق فمن نصب عمله وكل اليه وحجبه عن خالقه ۞ ثم درج المصنف رضى الله عنه (ولو حصل المعمول له لاشتغلوا به عن رؤية أعمالهم) معنى الحصول أى لو علموا حصول الحق سبحانه وتعالى لغلوا عن الاعمال وعن رؤيتها وعن طلب الجزاء لو شاهدوا نور المحيا بالأعين النجلا لاسكرهم واغناهم عما هنالك وما هنا قال ابن عطاء الله فى حكمه النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده ولقرابه والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه فالحجاب عذاب والنعيم بالنظر الى وجهه الكريم فمن حصل له شئ من ذلك النظر وافق على البساط وحضر لزمه نفى التأويلات من التشبيهات والمحالات ليصح التنزيه بعد نفى التشبيه جل ربنا وعلا المنزه عن التنزيه اذ لا مثل له ولا شبيه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ۞ ثم قال رضى الله عنه (الحديث ما استدعيت من الجواب والكلام ما صدقك من الخطاب) يعنى ان الحديث هو ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم والجواب اجابته على ما أمر به ونهى عنه والكلام هو ما أتى عن الله منزلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ما صدقك أى ما اتضح لك من الخطاب مما أتى فى الكتاب فالوارد فى الحديث والكتاب هو الذى لا يرد عن أولى الالباب فهما الصحيحان وعليهما مدار تحرير الميزان فلا يثبت ما انتفى منهما ولا ينفى ما أثبت فيهما كما قال وهو عزمن قائل كريم ومن أصدق من الله حديثا وقال جل وعلا فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول فالحق ما اتضح منهجه عقلا ونقلا والباطل ما نهى عن مسلكه واستحال المنقول والمعقول فعله والمشبوه ما لم تعلم عينه والميزان بعد ذلك يحققه ويحكمه كما قال وزنوا بالقسطاس المستقيم والحق أحق أن يتبع والمقصود بعد معرفة الحديث والكلام العمل بما فيهما واجتناب الآثام والمراقبة لله من دخول الرياء فى السجود والقيام فان الرياء ذنب العمل والكبر آفة العلم اذا حصل والدعوى ضعف المعرفة كما أن الاستغفار على الذنوب آفة وان بالانكسار جبر القلوب وبالخضوع رفعة لمطالعة علام الغيوب وهو المقصد والمطلوب وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (الغيرة أن لا تعرف ولا تعرف) أى الغيرة على حب الله ان لا تعرف سواه ولا تعرف الى شئ بالحب من دونه تنال رضاه تبقى مستقيما فقيرا الى الله عديما ملقى اليه لا لغيره ولا بغيره كأنك أسير بين يديه فهو الرب الشفيق والمولى الرفيق والحق الحقيق وعلى التحقيق فهو الذى يغار عليك لا أنت تغار عليه خلقك بفضله ودعاك اليه تفضلا ومنّ عليك عن غير منة عليك كما هو للفضل أهله ودل على غناه عن كل الخلق قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم وتبه على الغيرة منه عليهم بقوله ولا يرضى لعباده الكفر وزاد ايضاحا لذلك وبيانا بقوله وان تشكروا

برضه لكم قوله الحق وحكمه الصدق اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وأرضنا بقضائك وحكمك قال وهو عزمن قائل كريم لعبده ورسوله واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ۞ ثم قال رضى الله عنه (الحق تعالى لا يراه أحد الا مات ومن لم يمت لم ير الحق) يعنى ان الرؤية موعود بها بعد الموت فى دار الآخرة والموت على وجهين أما الوجه الاول فهو موت هوى ونفس وشيطان وكل محجوب دون الرحمن فمن مات فيه ذلك علم بالحق علم يقين وشاهد تجليا نه بلا كيف وتعيين وخص بذلك المقربين كما قال من أنالها الله فوز اصبينا رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وهذه ميتة فى الدنيا عاجلة وخصوصية مسرعة غير آجلة يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا والمراد به ما سبق آنفا ومعنى من لم يمت لم ير الحق أى من لم يمت هواه ونفسه وشيطانه ومحجوباته لم يشهد الحق وتجلياته ولم يعلم بعلم اليقين بما يجب ويجوز ويستحيل لذاته فايمانه ان كان مؤمنا ايمان مقلد والمقلد لا يصح ايمانه فى مذهب كل موحد قال الامام القشيرى المقلد مكذوب عليه ومنهم من يرى أنه لا يصح ايمان المقلد بقول الغير فى مذهب الاشعرى رضى الله عنه ومنهم من قال يصح ايمانه بقول الغير اذا اتخذه عزما وجزما انتهى ۞ وأما الوجه الثانى وهو النقلة البارية على كل الخلق خاصهم وعامهم فحاصله ان كلا يموت على ما كان عليه حيا لقوله صلى الله عليه وسلم يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه ويحشر على ما بعث عليه وما جاء به الشارع ليس عليه مزيد فافهم بل هو الدواء النافع وقال وهو عزمن قائل كريم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ۞ ثم قال رضى الله عنه (انكسار العاصى خير من صولة المطيع حب العلو على الناس سبب الانكاس) يعنى ان العاصى المنكسر هو الخارج من دينه الداخل فى فضل ربه فقد قال فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال تجدنى عند المنكسر قلوبهم لاجلى والانكسار أساس التوبة والتوبة هى الندم على ما فات والاقلاع عن الذنب والعزم على ان لا يعود اليه واللزم على الطاعة فهذا تحقيق الانكسار وتحقيق التوبة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال صلى الله عليه وسلم يخرج التائب من الذنب كيوم ولدته أمه وقال عزمن قائل كريم ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والمطيع اذا صال بطاعته وتكبر بعبادته كان خارجا عن الفضل وداخلا فى الوزر كما قال وهو عزمن قائل كريم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين والعلو على الناس راجع الى الكبر والكبر ردى محذور مع بأسه وصاحبه منتكس يمشى مكبا على رأسه أولئك الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ۞ ثم قال رضى الله عنه (حلية العارف الخشية والهيبة) يعنى ان الخوف من الله لباس للعارف والخشية منه ازاره والصبر مدرعته والحياء شعاره والعقل تاجه والصدق لسانه والوفاء سجيته والسخاء يده والتبتل الى طاعة الله قدمه والاعراض عما سوى الله شيمته وحب الله عمدته وفى السدرة وقفته أولئك العباد الذين كاشفتهم عظمته وأوقفتهم جلالته

وأذابت قلوبهم خشيته قال وهو عزمن قائل كريم انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وسلم أنا أقربكم الى الله وأشدكم خوفا منه فتحقيق المعرفة الخشية والاستقامة وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (الطمع فى الخلق شك فى الخالق) يعنى ان الطمع فيما فى أيدى الناس شك فى الله وايأس فكل شاك فى الله آيس والآيس مباين فمن طمع فى الخلق مما فى أيديهم وأراد منهم شيأ من دون ربهم كان معكذبا لله فى ضمانته وآيسا من رحمته أما سمعت كلام الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فمن هذا يسقط الطمع مما فى أيدى الناس ويزول الشك والاياس فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ۞ ثم قال رضى الله عنه (بفساد العامة تظهر ولاة الجور) يعنى ان معنى الفساد هو الخلاف لامر الله والعامة عام جوارحك أى السبعة الاعضاء وهى الرأس واليدان والرجلان والبطن والظهر ومعنى ولاة الجور هو ولاة الشيطان كما قال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم أى من الانس ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وان سبق الفهم الى فساد عامة الخلق وجور الجبابرة فهذا معنى لا حاجة لنا به هنا وان كان صالحا فى حد ذاته غير ما هنا لانه لا معنى الا مفيد ولا اسناد الا على سديد لان من صلح لا ينفع غيره الا بالاقتداء ومن فسد لا يضر غيره الا ان اتبعه فى طريق الردى فمتى فسدت السبعة الاعضاء فهذا هو الجور والخطأ ۞ ثم قال رضى الله عنه (وبفساد الخاصة تظهر الدجالة القائمون فى الدين) يعنى ان معنى فساد الخاصة هو فساد القلب كما قال صلى الله عليه وسلم فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهى القلب الحديث كما عليه مدار السبعة الاعضاء ومعنى الدجالة هى الهويات الباطلة النفسانية والظلم الجهالية المتطاولة واعلم ان كل ظلمانى نفسانى هوائى هو عبارة عن دجال فالهوى الظلمانى يدخل ويخفى العقل ويخيل فان قلت ما الدجال وما مدينته وما السد عليه وما المدخول به فالجواب اعلم ان الدجال هو الهوى الظلمانى ومدينته النفس الامارة بالسوء فى الرجل الانسانى والسد عليه هو معنى فى القلب نورانى فاذا اخترق السد نور النور الذى فى القلب خرجت الدجالة من مدينة النفس ففسدت الخاصة وظهرت المعاصى والفتنة فمنهم مدخول بهواه ومدخول بدعواه ومدخول بكبره ومدخول بزيه ومدخول بتمويهه ومدخول تحت ماله ومدخول تحت عياله فكل من أخذ شيأ من دون الله دخله قال وهو عز من قائل كريم حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج فالنفس هى مدينة يأجوج ومأجوج كما مر قريبا وهم من كل حدب ينسلون الحدب هى السبعة الاعضاء والشعر والبشر فاذا ظهر وا بالجور فسدت العامة من السبعة الاعضاء وفسدت الخاصة وهو نور القلب الذى فمن فسدت فيه العامة والخاصة لم تحسن له عند الموت الخاتمة نسأل الله السلامة من ذلك انه القادر على ما هنالك وان سبق فهمك الى خاص الخلق وفسادهم وظهور الدجالة الموعود بهم فهذا معنى حق ووعد صدق يخرجهم الله حيث يشاء من حدب الارض المسدود ولكن ليس يعنى نحن عندنا أعطى بصيرة على نفسه فهيهات هيهات كم من مدخول بهواه قبل مجيئهم وكم من مخترق عليه سده قبل أن يخترق سدهم والله

Digitized by Google

الهادى الموفق ثم الجواب والله هو الموفق للصواب وعليه المعتمد واليه المتجأ والمشرد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ❁ ثم قال رضى الله عنه (احذر صحبة المبتدعة اتقاء على دينك احذر صحبة النساء اتقاء على قلبك) يعنى ان المبتدعة هم أهل المذاهب المختلفة كالمعتزلة ونحوهم فمن صاحبهم دان بدينهم ومن دان بدينهم اعتزل من دين أهل الكتاب والسنة والتحقيق ان كل مخالفة بدعة قال صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة فهذا وجه نقلا ووجه عقلا احذر مجالسة المبتدعة أى احذر الاخذ من النفس والشيطان فانهما مبتدعان مدعيان فقد قيل للشيطان اسجد لآدم قال أنا خير فخالف أمر الله والخلاف رأس البدعة وقد قيل ان الجليل جل وعلا حين خلق النفس خاطبها من أنا فقالت من أنا فهذا مقارنة منها والمقارنة أعظم من البدع فهى فى السابق مقارنة وفى اللاحق أمارة أى بالبدع ونحوها ومن لم يحذرها لم يسلم منها ومعنى احذر صحبة النساء فانه فى ظاهر القول نهى تحريم كما قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن وقال صلى الله عليه وسلم النظر الى محاسن النساء سهم من سهام ابليس مسموم وان استطعت ان لا تنظر الى ثوب امرأة فافعل فما دلت عليه الآيات ووردت فيه الاخبار اعتمده أولوا العقول والابصار ان كان تركا فاتركه وان كان فعلا ففعله ويؤخذ من العقل معنى آخر فى قوله احذر صحبة النساء اتقاء على قلبك وهو احذر نسيان ذكر ربك فانه غذاء قلبك وليس بمستحيل ذلك المعنى فى النقل بل هو مندوب اليه مما اتفق فى العقل غيبيا حقا معنويا اتفق فى النقل شرعيا وما اتفق فى النقل شرعيا أو عمليا اتفق فى العقل حقيقيا اذ لا فرق بين الروح وجسده كالا فرق بين المنكب وعضده وبالله التوفيق ❁ ثم قال رضى الله عنه (من ظهر له نقص فى شيخه لم ينتفع به) يعنى انه لا تصح المنفعة مع شهود النقص فكيف تنتفع بشئ أنت منكره فالشيخ عبارة عن الامام والمريد عبارة عن المؤتم وشرط الامام أن يكون قدوة والمؤتم ان يكون خلفه فاذا تحقق المؤتم نقصا فى امامه مع ارتكاب لحن يخل بمعنى أو نحوه أو اسقاط يبطل الامامة لزمه مفارقته فكذلك المريد اذا رأى شيأ مخالفا صدر من شيخه فى أقواله وأفعاله وأحواله وهو مع ذلك عاقل لا غائب ولا ذاهل لزم المريد مفارقته والا فهو جاهل لان النقص داخل والنفع مضمحل وان قدرت جريمة على الشيخ وخرج عنها بالتوبة وبقى المريد فى الاصرار على تلك الوقيعة وهو قد خرج منها بالاستغفار والاعتذار والانكسار فان بقاء المريد مصرا فهذا نوع فيه من الاستكبار لان الاول غير معصوم من الذنب محفوظ من الاصرار وان وقع من المريد النقص فى شيخه وهو لم يخل فى مقاله ولا فى أعماله ولا فى أحواله فهو انسلاخه عن المريد ودعوامضة خالية عن سند فان المريد سؤل له أنه خير من شيخه وهذا بهتان عظيم وقد تقرر عند العلماء فى طريق الارادة أو التعليم بقولهم الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم أى قدامك فى الطريق لتنفتح لك على يديه مقامات التحقيق وتدرك ببركته غاية الفضل والتوفيق ويجب عليه ان يلاطفك بالاخلاق الجميلة ان قال لا يقول الا حقا وان أشار الى عمل أصحبه بالاخلاص صدقا وانه

فى تعليمه لا يتكبر وان أشكل على المريد شئ أنبأ فيه وأخبر كما قال تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وتحقيق النقص هو وجود عينه ان كان من الشيخ أو كان من المريد لان كم من مفتقر على المشيخة والعلم وهو لا يرجع من الظلم ويتخذه الهبيل دليل ويزل به عن سواء السبيل فشواهد الكتاب والسنة تفضح المتلبس وشواهد الاستقامة والتحقيق تفضح المتبلبس قال وهو عز من قائل كريم أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ۞ ثم قال رضى الله عنه (الذكر شهود المذكور ودوام الحضور) يعنى ان الذكر الحقيقى الموهوب الغرسى هو الذى يفنيك عنك وعن وجودك وعن ذكرك وعن خطورك فاذا قام هذا مقامك أى الذكر الذاتى الآتى لك لا أنت له الآتى الذى يحصل به الشهود ويحصل به القيام فى حضرة ربى والقعود فليس فى هذا ذكر للاسرار ولا حركة ولا اسم طالع ولا نزول هو به بلا معاينة بلا أين ومباينة بلا مين أفنى ذكر الاسرار بذكره ومحا حضورها بحضوره والتقم كوكب قلبك وغرر وحك وشمس سرك بحر نوره وتجلى عليك بغلبة سروره وأوقعك فى أعلى الدرة فى الصف الاول مأموما بامام الحضرة لا تسمع فيها همسا ولا ترى فيها عقلا ولا حسا بل حضور طمس وحضرة قدس وخشعت الاصوات للرحمن فلا يسمع لاحد لسان ولا يترجم لانسان جنان لقوله صلى الله عليه وسلم من عرف الله كل لسانه أى خرس لسان مقاله ولسان حاله فيبقى مستمدا من نور جلاله ومطموسا لاعليه ولاله مشاهدا بحقائق الايمان تجليات نور المنان فلما أشرق نور وجهه من العالم الاحدى طفئت حقائق الايقان وحقائق الايقان كانها لاشئ معدوما كونها فى المعدوم كما لم يكن شئ فى قديم القدم فهذا معنى بديع شديد الغموضية فافهم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ۞ ثم قال رضى الله عنه (لم يغفل عن ذكرك فلا تغفل عن ذكره لم يغفل عن شكرك فلا تغفل عن شكره) معنى لم يغفل عن ذكرك أى لم يغب عليه طرفة عين عملك لا فى جهرك ولا فى سرك وفضله عليك جميل وعطاؤه لك نويل ذكرك بالوجود قبل أن لم تكن موجودا فاستويت بشرا سويا فهذا من ذكره لك ورزقك رزقا طيبا وأنت لا تقدر على شئ ووعدك بالجزاء على عملك فى الدار الآخرة فلا تظلم فتيلا فذكرك لم يحل عن علمه وما قدر لك وعليك بقضائه وحكمه أنالك حقا بحكم قدرته المبرزة للايجاد على حكم ناجز وأمر نافذ فلا يرده راد وخصك بالارادة على ما يشاء تخصيصه فضلا وعدلا بأمر مبرم وقضاء محكم فهذا تحقيق ذكره لك فلتصغ فى ذلك أفكار المتفكرين بل تغرق فيه ألباب المعتبرين ومعنى ذلك مشتملا على وجود الخطا والصواب والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ومعنى لم يغفل عن شكرك أى اذا شكرته يزيدك كما قال لئن شكرتم لازيدنكم أى من الثواب الجزيل والكرم النويل وأما من حيثه جل وعلا فلم يحتج لى شكر أهل أسفل من السبع الارضين ولا الى شكر أهل أعلى من أهل السبع السموات والهواء بل هو غنى عن شكرهم أجمعين فلما عجز عن تحقيق شكره كل الخلوقين حمد نفسه بنفسه بقوله الحمد لله رب العالمين ۞ ثم قال رضى الله عنه (من جالس الذاكرين انتبه من غفلته من خدم الصالحين انتفع بخدمته) يعنى أن مجالسة الذاكرين تستيقظ بها

قلوب الغافلين لان نور الذكر مشاهب على الشياطين فينتفع من سمعه ويزول
منه الطابع على قلبه مادام يسمع الذكر وان لم يذكر به قال صلى الله عليه وسلم ان لله
ملائكة يمرون على حلق الذكر فيقفون على رؤسهم فيكون لبكائهم ويؤمنون على
دعائهم فاذا صعدوا الى السماء فيقول الله سبحانه وتعالى يا ملائكتي أين كنتم فيقولون
ربنا حضرنا حلقة من حلق الذكر فرأينا قوما يسبحونك ويحمدونك ويقدسونك فيقول
الحق يا ملائكتي فماذا يطلبون مني فيقولون الهنا يخافون من نارك فيقول الله عز وجل
ملائكتي قد أمنتهم فيقولون الهنا فيهم فلان وانه لم يحضر لما حضروا فيقول قد غفرت له
فجالستهم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم انتهى فيكفي ما في الحديث فخرا وقدرا في مجالسة
حلق الذكر وما جاء به صلى الله عليه وسلم ليس عليه مزيد ومعنى من خدم الصالحين أي من
امتثل لامرهم انتفع بهم فان أمرهم من أمر ربهم لا يأمرون الا بخير ولا ينهون الا عن شر
اشاراتهم ذكر وصمتهم فكر وتعليمهم كشف عن ناظر قلب من اقتدى بهم ويكفيك فيهم
وصف ربهم بقوله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ۞ ثم قال رضي الله عنه (لسان الورع
يدعو الى الآفات) أي يدعو النفس لتنتهي عما زجرت عنه فالورع على النفس آفة كما ان فيه
الجامها عن أغراضها وأحسن البوصيري حيث قال

وراعها وهي في الاعمال سائمة * وان هي استحلت المرعى فلا تسم

ثم قال رضي الله عنه (ولسان التعبد يدعو الى الدوام) أي على ادامة العبادة كما قيل
خير الاعمال أدومها لانه ليس لاحد عذر من العباد لا من أهل عالم الغيب ولا من أهل عالم
الشهادة كما قال في كلامه العزيز المصون وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ۞ ثم قال
رضي الله عنه (ولسان المعرفة يدعو الى الفناء والمحو والاثبات) أي الفناء عن نفسك وبقائك
بنور ربك والمحو أي محو علمك وعملك كما هو بفضل ربك لا بقوتك وحولك والاثبات هو
اثباته سبحانه وتعالى ذاتا وصفات وقدرة وارادة وشهادتك أنت بذلك ذاتا وصفات وقدرة
وارادة ان عملت فبفضله وان جدت بالعلم فبجوده وان شهدت بالعين فبنوره وان حضرت
في بساط الحضرة فبتخصيصه بالكرم والوفاء له عليك لا منك اليه كما قال ان فضله كان عليك
كبيرا ۞ ثم قال رضي الله عنه (والصحو والمرو متوافقة الاخوة الى ما يحذره السلم) يعني ان
العلم يحذر من الخلاف لان من لا يحذر الخلاف وقع في الخلاف والحكم عقليا ونقليا
متفق على التحذير عنه والصحو ما أحضرك بربك وغيبك عن نفسك والسكر ما أبعدك وغيبك
عن ربك وأحضرك مع هواك ونفسك وهذا سكر بمعنى الهوى وفيه معنى آخر السكر
غيبة بوارد قوي كان الصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة بوارد قوي تتأمل سكرك بما
هو صحوك بما هو أيضا حق تدري عن غيبت ومع من حضرت والله الموفق ۞ ثم قال رضي
الله عنه (عليك بنوء العارف بمعروفه) يعني زاحم العارف فان على فاحص فرض للعارف
وتعرف اليه الحق فعرفه به وأشار بما عرفه وهو المعروف له فصار كالآلة لمن له الموضوع في
ذلك السر الموضوع فتجليات سره العلوي المرفوع كانتقاش الكوكب الدري في الفلك

العلوي فاشرق اشراقه الماضي فسطع نوره في الفلك السفلي فانتقش مثاله بكماله في الغدير الصافي فصار عنه يخبر و يحكي وذلك مثل لنوره الخفي الشارق المتجلي على العقل المكمل الملكي فاشرقت صفته ذلك على القلب العلمي فصار نوره على لسان المقال ينبي فاخبرت بما امتدت من الحق الحقيق بعلم خفي و بصرت به الامثال والمثل على ممثوله دال كما قال بعض العلماء آلات العلم أربع شيخ فتاح وكتب صحاح وعقل رجاح وصداوسة الحاح فالعارف جامع تلك الآلات في على حاله ومظهرها الطالبها على لسان مقاله فافهم وزاحم وتعلم الرشد بفضل الله ونعمه وربك انفتاح العليم ﷺ ثم قال رضي الله عنه (وفوه الغفي بما اعتاده ومألوفه) يعني ان الغفي من استغفى بشيء من دون الله سواء كان في الدنيا أو في الآخرة فلم يزل ذكر ذلك الشيء بقاهه لانه معتاده ومألوفه والمعتاد ما اعتدت عليه والمألوف ما ألفت به فمن اعتاد بالدنيا ولف بها ومن والف بها اوجدها ومن اعتاد العمل الصالح ولف به ومن ولف به جوزي بالجنة كما وصف بها ومن اعتاد بالغفلة ولف بالشهوة ومن ولف بالشهوة جوزي بالنار فكل من قصد شيأ اعتاده ومن اعتاد شيأ ولف به كما قال وهو عز من قائل كريم ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ﷺ (وسئل رضي الله عنه عن تنبيه عن صحبة الاحداث) يعني الاحداث الذين حدثوا من الغفلة الى سبيل اليقظة فاذا صاحب الحدث الغافل بقي في غفلته ولم يخرج من قيد شهوته فنهى الحادث في الطريق عن صحبة الغافل المقعد ثم الحقه بقوله (فقال الحدث هو المستقبل للامر المبتدئ في الطريق الذي لم يجرب الامور ولم يثبت له فيها قدم وان كان ابن سبعين سنة) أو الغلو لو كان كبير السن فهو ناقص عقل وعلم ومعنى الحدث من حدث الى شيء كان جاهلا فسار اليه طالبا ولعل الله يوصله وأما قبل توجهه فلا يسمى حدثا لانه باق على ما هو عليه فلم يحدث بالسير الى غيره تبدل عليه لان من علم شيأ طمع فيه فمن علم بالمواهب الربانية طمع فيها ومن طمع فيها سار اليها فكل مستبدئ في الارادة هو حادث في الطريق والطريق عليه موحشة لانك الا بدليل لا تهتدي لاسرارها بعيدة والحادث في علم الطائف لم يعرفها لانها معنوية على معنوية ولم يثبت له فيها قدم من لم يجد لها دليلا لا يعلم (قال سهل رحمه الله ونفع به أمر أن لا يطلع الاحداث على الاسرار قبل تمكينهم) حتى لا يطلع الحادث في معاني التلوين على أسرار التمكين كما قال عيسى روح الله لا يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين لان الحادث اما سائر الى الحضرة واما طائر اليها وفرق بين السائر والطائر والمتمكن فالمتمكن واقف في الحضرة ومشاهد ففرق بينه وبين السائر والطائر لان الطائر متعنى بالفرار وهو مسرع والسائر متعنى بالمسير وهو بطيء فافهم الفرق بين السائر والطائر وأما الواقف الكامل فساقط عنه الاعتنا آن من الوجهين لا سائر بطيء ولا طائر مسرع بل هو في مقام الوقفة مقطوع الاجنحة انتهى سيره و وقف وقطعت أجنحته فلا يخفق خلاف العارف والعابد لان العابد سيار والعارف طيار والكامل واحد عاجز عن ادراك الحق ومشاهد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سبحان الاكبر سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته وقال الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك

فافهم ذلك فانه فيض على العارف والسالك والله الموفق الى ماهنالك وهو حسبنا ونعم الوكيل ۞ ثم قال رضى الله عنه (وأما أهل الغفلة والنفوس الدنسة فهم أقل ان يذكروا بأمر ونهى) يعنى ان أهل الغفلة الذين لم يحدقوا فى طريق الارادة الواقفين مع هويات نفوسهم الدنسة فاقل أن يذكروا بأمر ونهى يتبعون ما أمروا به من الاعمال الصالحات ويجتنبون ما نهوا عنه من الاعمال الفاسدات فهذا أقل مرتبة فى الدين وما وراء ذلك الاعمل الشياطين وأما من اجترأ على الله فيما نهى عنه فهو مكذب لله فيما أوعد به فلا تحقق بالعذاب وباهوال يوم الحساب لترك فعل الخطا وأقبل على فعل الصواب قال وهو عز من قائل كريم قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ۞ ثم قال رضى الله عنه (وقيل الاشارة بالاحداث ماسوى الله من المحدثات) يعنى ان كل ما فى العالم حدث ذاتا وصفات وأفعالا وسماء وأرضا دنيا وأخرى يطلق عليه اسم الحدث وان كانت الآخرة باقية لكن هى حادثة غير قديمة وكذلك الارواح والعرش من سائر المحدثات فمن قال بقدم المذكورات قال بقدم العالم وتلك مقالة النصارى والمجوس لان القدم اتحد به الملك القدوس ذاتا وصفات وسماء وآيات وأحسن الواسطى حيث قال وجلت الذات الكريمة ان يكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة انتهى كلامه جل ربنا وعلا قدم ذاته كقدم صفاته وقدم صفاته كقدم ذاته وكذلك اسماؤه وآياته والعشرون الصفة المنوه بها فى عقائد الصوفية يصح لها من القدم ماصح لذلك مما تقدم كلها قديمة وصفات الكمال التى اتحد بها لا تحصى غير معدة وتعديدهم فى عقائدهم اظهار المعانى التنزيه ومن قال بشئ منها مما تأخر لزمه القضاء بحدوث الحق والحدث يجرى عليه العدم وهذا شئ محال سبحان المتقدس عن التأخير والحدوث والمثال المتوحد بنعوت الجلال والجمال والكمال المعروف بالوحدانية المتنزه بالاحدية قبل وجود الحدثية أوجد المحدثات وهى لاشئ من العدمية وأمسكها عن العطال وتقدس عن الحلولية وهو على ماعليه كان فى الازلية واحد لم يزل لا فى الوحدية ولا فى الابدية وحاصل ذلك نفى المثل واثبات من لم يزل اشارة الى نفى الحدث فى الوجود بدلالة اتصافه فى الازل كما كان الله ولا شئ وهو الآن على ماعليه كان فسبحان المتقدس عن الزمان والمكان بل هو الموجود المطلق الملك الحق المعروف لنفسه قبل المكان والزمان بالقدم موصوف وبالبقاء معروف سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ۞ ثم قال رضى الله عنه (من هيمه أثر النظر وأقلقه سماع الخبر) معنى أثر النظر هو النور المستودع فى القلب فاذا ظهرت أقباس قبس من هذا النور لاحت لوائحها بالسرور فاثرت شوقا محرقا على صاحبها فاقلقه سماع خبرها لان خبرها من أثرها وأثرها نور ملئ فى الجنان وخبرها وارد يرد بالذكر بكل لسان فبذا ينفتح عالم الملكوت وعجائبه وفيه ملاهى باطلة على صاحبه ودعوى مضلة على من وقف به فلا وارد يرد من الحال بالالسنة الا ويحاوره دعوى من بقايا الشيطنة مستحيلة غير ثابتة فى البرهان والدليل والبينة فمن وفقه الله للعناية المعينة سمع منادیها فى واديها انما نحن فتنة أمامك فلا تكفر

حتى درج المصنف رضى الله عنه بقوله (تقطع فى مفاوز الخاطرات ولم تلتفت الى الآفات)
أى خاطر بنفسه فى الخاطرات لينال أشرف المحاضرات ومعنى تقطع أى قطعت نفسه
ارباارباً ليزداد بذلك من الله قربا ومعنى لم يلتفت الى الآفات أى لم يقف مع الملهيات
المتلفات بلامع السراب فى يوم هجير صيفى فى قفرة عليها دخان الضباب ولهب حام
من حمى حميا يكوى القلوب كيا فكلما سار الى سرابها لمع وتهيا ونار العطش والشوق
يطويه طيا فحال أن ينال من الشراب شربا وريا حتى اذا جاءه لم يجده شيا فقال المصنف
(يقول فى همهمته كيف السبيل الى وصل أعيش به) يعنى الهيمان هو الحيرة فى القفرة
ومعنى الوصل هو الاتصال ليحيا بنور الجمال فلما تحقق بالسراب ولمعه نادى بلسان سره
يا الهى خير دليل اهد عبدك الى سواء السبيل فسمع نداءه حين دعاه فلما تحقق صدقه سهل
استاذا مرشدا يرشده فاختصه وأخذ بيديه كما مضى لموسى شعيب فلما قص عليه القصص قال
لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكذلك الاستاذ اذا أخذ بيد المريد ليهديه الى صراط
الحميد فقال غب عن عمرك وعملك لانه سراب وعلى الاطلاق ما صدر من نفسك وشهدته
برزمنها سراب وحجاب وعذاب ووهم وشك وبالعكس ما لم تشهده لا يبرز من نفسك الا جريان
والمجرى فيها الرحمن هذا هو الحقيقة المقررة عند أهل العرفان فلما غاب عن عمله وعمله اختفى
لمع السراب فسمع النداء انى أنا الله لا اله الا أنا ونور الحيا بدا فوجد الله عنده فاشتد
فرحه وزال نكده فوفاه حسابه انجاما من الهجر الذى أصابه ادخله فى البساط وجعله
من أحبابه والله سريع الحساب أى قريب الى الطلاب قال وهو عزمن قائل كريم بسم
الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم
نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا ثم قال رضى الله عنه (آفة
الخلق سوء الظن) أى الظن الردىء الذى بنا فى ظن الهدى الظنون آفات والادرجات كما
قال صلى الله عليه وسلم يقول رب العزة جل وعلا أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء فمن
كان ظنه شرا فلا يلومن الا نفسه ان أتاه بحسبه لان رب العزة كريم للئيم على قدر مراده ولو
فيه هلاكه ونكاده وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردا كم فاصبحتم من الخاسرين ويسر
لاهل ظن الهدى هدى رحمة منه عليهم وفضلا لانه كريم والجود أهل قال صلى الله عليه
وسلم والذى لا اله الا هو ما أعطى عبد مثل حسن الظن بالله تعالى فمن وفقه الله لذلك فقد
استكمل الخيرات ورفع الى الدرجات وبالله التوفيق ثم قال رضى الله عنه (آفة
الصوفية اتباع الهوى) يعنى الهوى الذى يطلب غير الله ويميل الى سواه فهذا هو الآفة
والحجاب والمسافة فكل من هوى هوى من الغضب والرضاء فانه بما سبق له وعليه فى القضاء
اتباع الهويات انحطاط عن الدرجات ومن حط عن الدرجات فهو فى الدركات وهويات
الصوفية هى التبجح والاشارات والمقال والجاهات وطلب الاحوال والمقامات فمن طلب
غير الله شيأ فانه كل شئ ومن هوى مولاه على كل شئ يسر الله له كل شئ ولذلك قال أبو الحسن
الشاذلى قف ببابه واحدا لا تتفتح لك الابواب تتفتح لك الابواب واخضع لواحد لا تخضع لك
الرقاب تخضع لك الرقاب ثم قال رضى الله عنه (هم العارفين لا تسمو لغير معروفهم) يعنى

Digitized by Google

ان العارفين بالله لا تسموهم همهم لغير الله أنزل عليهم سكينته فاستكانوا له وتجلى عليهم بتجليا نه فاستغرقهم في مشاهداته ولو عرض عليهم كل ما في النعيم لم يرضوا به بدلا عن أنس عظمة العظيم هممهم اليه قاصدة وأعمالهم لوجهه خالصة وألسنتهم لمذاكرة واشاراتهم اليه صاعدة وقلوبهم به عالمة وعقولهم لمشاهدة وأرواحهم في حضرته واقفة فلم يجدوا همة الى غيره مهمة فكيف تهتم الى غيره ما وجد الا به فارتفعت همهم الى المسبب لا الى أسبابه وان تعاطوا الاسباب هو أولاها لا بكونها ولا لكونها أولئك عباده الذين اصطنعهم لنفسه واصطفاهم لحضرة قدسه وهو لاء قليل ماهم قال صلى الله عليه وسلم اشارة اليهم في حديثه اطلبوا المعروف عند الرحماء من أمتي تعيشوا في أكنافهم ثم قال رضي الله عنه (من حرم احترام الاولياء ابتلاه الله بالمقت بين خلقه) يعني من حرم احترام أولياء ألبسه لباس بلاء وأحرمه رضاه لان أولياء الله ورثة أنبياء قال صلى الله عليه وسلم علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل فمن ليس عنده حرمة للاولياء فليس عنده حرمة للانبياء فمن لم يحترم حرمتهم فاتته بركتهم ومن فاتته بركتهم دخل في سبهم ومن سب الاولياء فكأنما اعترض على الانبياء ومن اعترض على الانبياء فقد آذى الله قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومن حارب الله أين مفر منه وأين الملجأ والمنجى لا ملجأ منه الا اليه وأقل ما يكون ان يموت على غير الملة نعوذ بالله من ذلك اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك يا أرحم الراحمين ثم قال رضي الله عنه (من أراد الصفاء فليلزم الوفاء) معنى الصفاء هو صفاء الباطن من الاغيار ومن الظلم والاكدار فمن أراد ازالة ذلك فليلزم أشرف المسالك وهو قول لا اله الا الله كما قال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله فبها يصفو القلب من رانه ويموت الجاثم شيطانه فذكره هو الوفاء ونور هو عين الصفاء كما قال اذا أراد الله بعبده خيرا حبب اليه ذكره ووفقه لتقاه وشكره لان التقوى هي نتيجة العبادة كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا والفرقان هو الصفاء والتقوى هو الوفاء وأصل الصفاء من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم ثم قال رضي الله عنه (فالقرب مسرور بقربه والحب معذب بحبه) يعني أن المقرب هو المحبوب الذي الى المكارم مخطوب يدعى الى المراتب العلية موهوب والى الاسرار الخفية مطلوب فيزداد بذلك سرورا كبيرا وفوزا وغنى وملكا كبيرا وهذا معنى ألم نشرح لك صدرك الآية ومعنى الحب هو الذي عذب بالحب لانه طالب للقرب عطشان يريد الشرب بالاعمال كاسب والمكارم خاطب فكلما خاطب المكارم وجد في العزائم ازدادت المكارم تحببا عليه فعلقت نار الحب فعذب بها لانه لم ينل القرب فالطالب طلبه عجابه والحب حبه عذابه أي عذب من عدم الوصل فلما قويت نار الشوق وكاد منها يشطوى نادى نداء في سره الخفي كنداء موسى حيث قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري فافهم الفرق بين الاول والثاني وربك قريب سميع الدعاء فالاول مراد والثاني مريد والاول محبوب والثاني محب والاول مطلوب والثاني طالب وكلاهما يستويان في طريق الفقر الى الله انتهى

وهو

وهو عجيب ۞ ثم قال رضي الله عنه (أسس هذا الشأن على الجد والاجتهاد وقطع المألوفات والاعتياد) يعني ان الجد هو العمل والاجتهاد هو دوامه مع قطع المألوفات النفسانية الذي تصد عن المعارف الربانية واعلم أيها المجتهد العامل الجد أن اجتهادك بالعمل سبب غير مؤثر ولئن جعلته سببا مؤثرا لكان عليك حجاب والمحبوب يعذب العذاب وربما لحقت بالقدرية الذين اعتمدوا على أعمالهم وان جعلته سببا للامتثال غير مؤثر في طرق الجزاء والاحوال نلت منال الرجال ورفعت الى الكنف العالي لانه لا تأثير للعمل الا بفضل من لم يزل قال صلى الله عليه وسلم ما فيكم من يدخل الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته ۞ ثم قال رضي الله عنه (استلذاذك بالبلا تحقيق الرضا) يعني ان استلذاذ الرضا بالبلا مع وجوده كاستلذاذك بالعافية مع وجودها وكان كثيرا من أهل هذه الطريق يؤثرون البلاء والامراض على العافية لما يتعدى اليهم فيه من المعارف الربانية والالطاف النورانية وربما نزلت البلايا في العطايا وربما نزلت العطايا في البلايا وربما نزلت الاذايا في الهدايا وربما نزلت الهدايا في الاذايا وهذا معنى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم ۞ قال بعض الصحابة مرضت مرضة فوددت أن لا تزول عني لما أهدي الي فيها من المكارم والمنن ۞ وأخبرني بعض الاخوان الثقات في مرضة وقعت به وهو من المكاشفين في عالم الملكوت قال لي بينما أنا أتملى بمرآة اخلاصي في عجائب الملكوت اذا نكشف لي في أسرع من طيف العين عالم الجبروت والا كوان عندي من العرش الى الفرش كون واحد قائم بواحد ظاهر عليه فهو واحد وتلك الولاية الكبرى والعطية العظمى فلذلك آثروا الباقي فوجدوا نعيم الابد وغاية الرضا بما اختاره لهم المولى فبذلك نالوا المراتب العلا قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم وقد ورد عن عيسى عليه السلام انه وجد شخصا قد قطعه الجذام والزمانة تنهش من جلده فقال عيسى ان هذا البلاء عظيم فقال الرجل أنا بخير مما ابتلى كثيرا من خلقه فقال عيسى وأي بلاء أعظم من هذا فقال قلة المعرفة بالله فقال صدقت فدعا له عيسى فشفي مما به فالمرض ونحوه غير قادح في حق الانبياء والاولياء لاستحالة النقص عليهم لان الله قد طهرهم ونقاهم وآمنهم على غيبه وأعطاهم العطايا بقوله يا محمد انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر فلما ان حسده على هذه العطية من نافق وكفر فقضى عليه بالنقص فقال انه ساحر أبتر فأنزل الله الآية الكريمة العالية العظيمة شاهدة له بالبراءة والتنزيه من النقص فقال ان شانئك هو الابتر فمن هنا يستحيل النقص عليهم في مراتبهم العلية وأما بلاء العرض فيه تبرروا اذ كانوا به راضين فهذا وجه نظري في البلاء لان المرض ونحوه جائز عليهم ومن ذلك بلاء أيوب بالجراحة وبلاء شعيب بالعمى وبلاء يعقوب بالحزن والفقد حتى عميت عيناه وذلك لكمالهم صلوات الله عليهم وما أنزل عليهم أقذاره الا وقد أهدى اليهم أنواره وأسراره فحملوا ما أنزله عليهم بما وضعه فيهم فهذا وجه نظري في البلاء ووجه حقي وهو نحيص خفي في تحقيق البلا وهو بالكسر للظهور المخفي وهو معنى تبلى السرائر في السدرة كأنها الاشيء كما لم يكن أو لا شيء لكن لا يعرف

هذا بالمعنى النظرى انما يعرف بنور العقل من غير أن يكون مستحيلا فى النقل وبالله التوفيق
❁ ثم قال رضى الله عنه (الفقر أمان على التوحيد ودلالة على التفريد الفقر أن لا تشهد عين
سواه) يعنى بالفقر الفقر الى الله وهو الفقر الصحيح لان الفقر الى الله هو عين التوحيد فاذا
وحدته تحقق توحيده علمت أن لا قدرة لاحد غيره لان طالب الله هو موحده وموحده مفتقر
اليه ومفرده عما سواه مما أوجده ومن ارتكن على غير الله لم يوحده لان الذى يطلب
من دونه شريك له فأبطل ذلك توحيده بوجود الشريك وهو سبحانه وتعالى ما له شريك
ولا معين ولا نصير ولا وزير اذ الكل اليه مفتقرون من أهل السموات وأهل الارضين
وتحقيق التفريد هو استغناؤك بالله عن القريب والبعيد وتحقيق الفقر الى الله هو استغناؤك
عما سواه وتحقيق التوحيد استقامة قلبك من غيره مع نفى الشبيه والضد ونفى القرين
والند ونفى التمثيل ومفارقة التعطيل وهو حسبنا ونعم الوكيل ❁ ثم قال رضى الله عنه (العبادة
تنبيك من طغيان العلم والزهادة الزهد أعم من الورع لان الورع اتقاء والزهد قطع للكل)
يعنى ان العبادة بما علمت من العلم تنبيك من رياسته لان العلم اذا لم يعمل به أثر رياسة على
صاحبه وثمر العبادة الزهد لانه أبسط من الورع أى أوسع فالتقوى بالعلم والزهد قطع للغير
ليخلص العلم والعمل ❁ ثم درج المصنف بقوله (الزهد فضيلة وفريضة وقربة فالفضل فى
المتشابه) أى بتركه (والفرض فى الحرام) أى واجب تركه (والقربة فى الحلال) يعنى ان المذكور
على ثلاثة أوجه تحتاج الى التفصيل لتثبت قاعدة التدليل ويتضح منهج السبيل لطالبه
ويعرف الفضل لتقربه عين كاسبه فقال رضى الله عنه الفضل فى المتشابه يعنى اذا اشتبه
عليك أمر فاتركه لتنال الفضيلة والمنزلة الجليلة كما قال صاحب الوسيلة صلى الله عليه وسلم
فى حديثه المشبوه كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه يحب تركه على المتدين ولو لم يكن
كالحرام المتعين فلما اشتمل منه القلب نفر كه أولى لانه مضطرب بين المشبوه والمكروه كما قال
صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك وافتوك ومعنى الفرض فى الحرام يعنى تركه
فريضة كما ان طلب الحلال فريضة فواجب على كل الخلق أن ينتهوا عما حرم الله لانه متبين
متضح متعين فمن أخذه كسر الحد مع علمه بتحريمه قال صلى الله عليه وسلم سمعت جبريل
يقول سمعت رب العزة جل جلاله يقول يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما
فيما بينكم فلا تظالموا الحديث وقال جل وعلا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل
الآية فالفرض لا يصح خلافه بحال ومعنى القربة فى الحلال أن الزهد فيه قربة الى الفرد
ذى الجلال لمن أراد طلب ربه وترك ما دونه كما قال وهو عز من قائل كريم يا أيها الذين آمنوا
لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية ففى الآية اشارة الى الزهد فيهم ليخرج
من حبهم كما ان حبهم حجاب عن ربهم ومن لم يزهد فى حبهم خسر فى الآخرة كما قال ومن يفعل
ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه هل فيكم من يريد ان
يذهب الله عنه العمى ويجعل له علما بغير تعلم هل فيكم من يريد ان يعطيه الله هدى بغير
هداية الا انه من زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
الا انه من رغب فى الدنيا وأطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها وما من عبد يزنى

شيأ من الدنيا الانقص حظه فى الآخرة وان كان عند الله كريما ۞ ثم قال رضى الله عنه (من سمع العلم ليعلم الناس أعطاه الله فيما يعرف به الناس ومن تعلم العلم ليعامل به الحق أعطاه الله فيما يعرف به) أى من أخذ العلم ليعلم به غيره الهمه الله العلم وأفاد به غيره لان فائدة العلم العمل بما فيه والحق سبحانه واقف على الظنون والمرادات وعلى ما تخفيه الانفس فى كل الارادات وحقيقة العبد ظنه ومراده سواء كان فى ضلاله أو رشاده وفائدة العمل الاخلاص كما قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتعليم للعلم بالناس مطلقا لكن غير كاف عن العمل والعمل غير كاف عن الاخلاص لان العالم والمتعلم سواء فى طريقة العمل ليس لاحد فرصة بلا عذر موجب كما قال على الجمع بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس اتقوا ربكم الآية ومعنى من تعلم العلم ليعامل به الحق اى باتباع أوامره واجتناب نواهيه أعطى معرفة من الله فعرف الله بالله وذلك على مقدار همته وظنه ومراده مع سابق عناية ربه فان كان ظنه بمولاه جميلا أعطاه الله من فضله جزيلا وتجلى عليه بتجليانه واسقاه من رحيق صافيه باشرف كاساته وأدخله فى عباده الذين أذاقهم حلاوة وداده وأحضرهم فى بساطه وجعله من أهل التمكين كما عامل باحسن المعاملة أرحم الراحمين وصفى بقينه كما دان الله بخالص دينه قال صلى الله عليه وسلم الا ان دعامة البيت أساسه وان دعامة الدين المعرفة بالله واليقين والعقل القامع قالت عائشة رضى الله عنها بابى وأمى أنت يا رسول الله وما العقل القامع فقال الكف عن معاصى الله والحرص على طاعة الله عز وجل ۞ ثم قال رضى الله عنه (من قطع موصولا بربه قطع به ومن شغل مشغولا بقربه أدركه المقت) يعنى من قطع صلة الحق الى احد عبيده وهم الاولياء الموسومون بمعرفة الدين الذين اصطفاهم لمحبته وأكرمهم بكرامته فمن قال بقطعهم من الوصلة فقوله راجع الى نفسه وعلى الحقيقة هو مقطوع بسكين عزله ودلالة فصله كما قال انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا الآية ومعنى من شغل مشغولا بربه أى من شغل عابدا لله أدركه فى الحال المقت من الله لان المقت هو مصيبة فى الدنيا وكلال العافية وضيق المعيشة والفتنة وعند الموت سوء الخاتمة وفى المحشر يؤمر به الى النار ولا ينظر اليه الجبار وذلك جزاء من شغل مشغولا بالله حبط عمله كما قال أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ۞ ثم رجع المصنف الى مخاطبة النفس ليزجرها عن ميلها وشدة كبرها بقوله (يا نفس هذه موعظة لك ان اتعظت) أى ان رجعت عن النقص والسب فى أولياء الله الذين اصطفاهم وطهرهم وزكاهم فانتهى عن الاستصغار بعباده الذين سلك بهم طريق رشاده كما قال يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ۞ ثم قال رضى الله عنه (من سكن الى غير الله لنشره نزع الله الرحمة من قلوبهم عليه وألبسه لباس الطمع فيهم) أى من ان تسكن الى غير الله بسره أو يريد منهم محبته نزعت من قلوبهم رحمته فهو طامع فيهم لحاجته وهم غنيون عنه وعن بركته مخالف عليه حذره كما أراد من الخلق

نشره وأظلم عليه سره وفاته بر الحق وفضله أولئك الذين سلقوا بالهمة حتى ارتدوا وفرطوا
في العزمة الى الله حتى انتكسوا روى عن الشيخ أبي الحسن الضعاك الغامي رضي الله عنه انه
قال قيل لي وأنا في نوم كاليقظة أو في يقظة كالنوم ومعنى كلامه هذا هو المنابذة المعروفة
لاهلها في حضرة المولى وخطاب الحق اياه فقال له حين أحضره في حضرته وأوقفه على بساط
سدرته لا تدين فاقة لغيري فاضاعفها عليك مكافاة لك بسوء أدبك وخروجك عن حدك
في عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة لتفر الى منها وتتضرع لدي بها وتتوكل علي فيها
سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تركن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي
بالغنى فان وصلتها بي وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي
وحسمت أسبابك عن أسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته الى ملك ومن وكلته الى نفسه هلك
لا تركن الى شيء دوني فانه وبال عليك وفتان لك ان ركنت الى العلم لبسناه عليك وان
أويت الى العمل رددناه اليك وان وقفت بالحال أوقفناك معه وان أنست بالوجد
استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اعتززت بالمعرفة نكرناها عليك
فاي حيلة لك وأي قوة معك فارض بنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا انتهى كلامه ففيه ردع
لمن ارتكن الى غير الله وهو شفاء جدا اللهم أرضنا بك عن جميع مخلوقاتك من أقصاها الى
أدناها فلا تعنينا بشيء دون وجهك يا أرحم الراحمين ۞ قال رضي الله عنه وقوله مناسب
لما تقدم (علامة الاخلاص ان تغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق) قد تقدم الكلام فيما
سبق في مغيبك عن الخلق في شهود الحق لان كل ما في العالم خلق من أقصى السدرة الى
منتهى الهموت صورها ومعنويها أنوارها وظلماتها أرضيها وسمواتها أرواحها
وأسرارها كلها خلق يجب الاعراض عنه مع مشاهدة خلاقها ليخلص عملك له ويفتر
ذكرك له ويصح توحيدك له ويصح عملك به ويصح عقلك به اذا أعرضت عن خلقه واذا
استغنيت به عنهم صح لك فكرك واذا علمت قربه اليك رفع ذكرك واذا أخلصت بالانفراد
اليه صح توحيدك واذا نزهته عن جميع مخلوقاته وعلمت فقرها الكل اليه صح نظرك
والله الهادي الموفق قال وهو عز من قائل كريم وقوله مشتمل على امتاع كل الخلق على
من في السماء والارض وهو أهل الرفع والخفض يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله
هو الغني الحميد وتزيد تفصيلا وبيانا على افتقار كل شيء اليه مما في العالم بأسره العرش
مفتقر الى حملة والحامل مفتقر الى قوة فقام الحامل والمحمول به واستوى وحمل برحمانيته
والعقول مفتقرة الى تكميل من نور أحديته لتشهد جلاله وعظمته والاسرار مفتقرة
الى تخصيص لتحضر حضرته والارواح مفتقرة الى روح ينفخ فيها التحيا بحياته وتغوص
على جواهر علمه في بحور وحدانيته والنفوس مفتقرة الى مراقبة لتزكو بفضله ورحمته
والقلوب مفتقرة الى الهام من ربها لتموت الجاثم عليها وتشرق انوارها والاجساد مفتقرة
الى حركة قلبية تحرك فيها التعمل صالحا كما تحركت فيها النية وعلى ذلك يتنوع الفقر ويتنوع عانه
الكل مفتقر الى الله مما يليق به من أهل أرضه وسمواته والله التوفيق ۞ ثم قال رضي الله
عنه (بقاء الابد في فنائك عنك ثمن التصوف تسليم كلك) معنى بقاء الابد هو نور الواحد

الاحدو بفنائك عن نفسك وعن أبناء جنسك لتبقى بنور ربك ومعنى ثمن التصوف الثمن هو قيمة الشئ بما يليق به لان ثمن التصوف صفاء قلبك وتطهير احساسك ومعنى التسليم هو الصبر والرضا والانقياد والاستسلام قيام بالعبودية بوظائف الاعمال القلبية واجراء النفس فيما يكرهها عند الحكم من الربوبية والبدنية هو أداء القيمة مما أمرت به من الخيرات ومعنى كلك أى وسائر جسدك لتسليم بما أمرك العلى العظيم السبعة الاعضاء تؤدى ما عليها وهو القيام بالامتثال لرجا والخمس الحواس معناها بى تسمع وبى تبصر الحديث الى آخره وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (من كان الاخذ أحب اليه من الاخراج فليس بفقير) يعنى من كان يحب ان ياخذ ولا يحب ان يعطى فليس هذه شيمة أهل الوفاء انما هذه شيمة أهل الجفاء وليس هذه شيمة أهل الفقر انما هذه شيمة أهل الشكر لان شيمة الفقير الوفاء والطاعة والورع وترك الطماعة كما قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة كن ورعا تكن أتقى الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأما صاحب الاخذ لنفسه ولا يحب الاخراج لابناء جنسه فهذا ساقط عن رتبة الايمان زمامه بيد الشيطان كما قال صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف ينال مرتبة الفقر من هو مالكه لان مرتبة الفقر أعلى المراتب وهو الفقر الى الله وكذا حب الفقراء وهم أولياء الله وحب المساكين وهم العارفون بالله كما قال صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين ولان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام يتنعمون فيها وفى الجنة قبة من ياقوتة حمراء ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا الى النجوم لا يدخلها الا نبي فقير أو مؤمن فقير او شهيد فقير فان الفقر مشقة فى الدنيا ميسرة فى الاخرى ولكل نبي حرفة وحرفتى اتيان الفقراء والجهاد فمن أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى صدق صلى الله عليه وسلم ۞ ثم قال رضى الله عنه (الخوف اذا سكن القلب أورثه المراقبة) يعنى ان خوف الله اذا سكن قلب عبده أورثه مراقبته وألبسه لباس خشيته وتوجه بتاج هيبته وأراه عظمة عظمته فعلم حاضر الى ما أكنه ناظر فاذا علمه العبد بذلك خضع لله وخشع فمتى خاف الله فى سره وعلانيته ارتفع ومتى امتلأ القلب من خوفه باستشعار حضوره لان وانصدع فظهر نور الايمان بكرم المنان على وفق القلب وفشع وتطهرت الجوارح بما فاض عليها من النور شعرها وبشرها بوحدانية الله بألسن شتى وبعد ذلك تجتمع تلك الاسماء فى اسم واحد ويثبت التوحيد المجرد المعروف باسم واحد غير معدود وتنفتح عين المشهد لقوله تعالى وشاهد ومشهود وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (المهمل من الاحوال والاعمال لا يصلح لبساط الحق) يعنى ان المهمل هو الذى لم يسكن خوف الله فى قلبه حتى أهملت جوارحه ففضل عن الله ولم يفعل ما أمر به فكيف يصلح للبساط من هو منهمك فى الافراط لان بساط الحق هى الحضرة فكيف يصلح للحضرة من لم ينته عن منكره ومثل المهمل للاحوال كمثل المؤتمن على مال غيره فاذا أهمل بانت خيانته وكذلك المهمل للاحوال خائن لانها أمانة عند العبد وهى حقائق لله الصمد الفرد فاذا اهملت الاحوال ولم يراعها خالف كلام الله وقوله لما رعوها حق رعايتها وقال أيضا ان الله يأمركم

أن تؤدوا الامانات الى أهلها وكذلك الاعمال الصالحات مأمور بفعلها والاعمال الفاسدات مأمور بتركها فمن أهمل الاعمال الصالحة عمل بالاعمال الفاسدة والاغفل وكسل والغفلة عن الله والكسل ملحق بالفساد ولو لم يعمل به أيحسب الانسان أن يترك سدى ثم قال رضى الله عنه (الاحوال مالكة لاهل البدايات فهى تصرفهم) معنى الاحوال هو ما بطن فى القلب على متقلباته بين الحال الربانى وبين الحال الشيطانى وبين النفس الامارة بالسوء واللوامة وبين الروح والظلمة لان الاضداد واضحة فى الاحوال على هذا الترتيب فالقلب كالاناء اما للجاثم الخناس واما للملك الالهامى يامر رب الناس فسمى قلبا لتقلبه بين الحالتين فاذا ظهر فيه الخناس اختفى الالهامى وان ظهر فيه الالهامى اختفى الجاثم والصورة الطينية الجسدانية وكل الاعضاء السبعة مملوكة لما فى القلب وقد يراد بالاحوال المواهب الربانية الخارجة عن الكسب وتملك أهل البدايات لضعفهم عن حمل التجليات الربانية وقد يخرجهم الحال والدهش عن حد العقل والنقل لسكرهم وعدم صحوهم وقد يراد بالاحوال القبض والبسط والانس والهيبة وغير ذلك فاهل البدايات ملكتهم أحوالهم كما انهم لم يفرقوا بين أنوارهم وظلماتهم ولم يعرفوا ما فى قلوبهم فصرفتهم الاحوال حيث شاءت فظهر على ألسنتهم الهام مختلف وعلى جوارحهم عمل غير مؤتلف لاختلاف ما فى قلوبهم فيلزمهم الوزن بالميزان الشرعى لتقلب قلوبهم والهامها وألسنتهم فى كلامها وجوارحهم فى عملها فهى تحقق لهم الامر المغضب والامر المرضى فاذا جاء الامر المغضب عزما لم يتخذوه عزما واذا جاء الامر المحمود عزما يتخذونه عزما فبذا تظهر أحوالهم من الادناس كما وزنوا بالقسطاس وتصفو اللطائف بقبض العمل الصالح على الكثائف ولعل يشرق نور العقل الجامع فيغنيهم عما فى النقل الواسع ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى انا ننظر الى الله بنور اليقين وحقائق الايمان فاغنانا بذلك عن الدليل والبرهان فبذلك تملك الاحوال وتطهر اللطائف عن دنسها بنور الجلال والجمال ودرج المصنف رضى الله عنه بقوله (ومملوكة لاهل النهايات فهم يصرفونها) أى اقتهرت الاحوال حتى ملكت بنور العقل المكمل ملكت به فصرفوها بامر الله على ما يرضى الله بخلاف الاول لان المملوك للاحوال ناقص العلم فاهل والمالك للاحوال عبد صحيح العقل كامل فاهل الاحوال عوام عند أهل العقول المكملة لانه قد غاب عن قربهم فى قربه وحبهم فى حبه وكمال نور عقولهم فى نوره وانما جعل الاحوال دالة لمن يطلب الحق و يلزمه الفرق بينها و ينصب القسطاس لوزنها بخلاف من طلبه الحق لان من طلبه الحق طويت عنه المخلوقات فى قبضته لقوله والسموات مطويات بيمينه والمالك للاحوال ينظر لقابض القبضة لا لما فى القبضة كما قال سبحانه وتعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض ولم يقل انظر والسموات والارض ولذلك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى حقيقة القرب ان تغيب عن القرب فى القرب بعظيم القرب وخصت بكمال القرب العقول المكملة كما انها أول مضطبع فى العالم الخارجى ثم يليها عالم الارواح الجبروتى فهى من دونها حتى ملكت الارواح بالعقول فالارواح هى الاحوال والمواهب المشار اليها والعقول كما كملت

بنور الله الذاتي هي المالكة لها وذلك منزلة الكاملين ومقام المقربين الذين انطوت عندهم الاحوال في نور اليقين ورسخت أقدامهم في تمكين التمكين وهؤلاء قليل ما هم في العارفين ثم نسأل الله بحقه ان يلحقنا بهم وان يجعلنا من حزبهم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ۞ ثم قال رضي الله عنه (كل حقيقة لا يمحو أثر العبد ورسومه فليست بحقيقة ثبات) يعني ان كل عبد له نسبة في حال أو مقام أو مرتبة من المراتب العظام يدعيها أنها له في الكلام فليست بحقيقة حق على الحقيقة فقالته غير ثابتة كما ان للعبد فيها نسبة فمن لم يمح رسمه وما جاء من وهمه ما ثبت عمله ومن لم يمح أثره ما صح خبره فكلما محالك أبقاك في الاوان لا تزعم انه محو محض لان المحو المحض يقتضي عطالا والاثبات المحض يقتضي مشاركة لله وهو تعالى ليس له شريك بل هو متصد بالبقاء والقدم ودليل قدرته في عباده الوجود والعدم قال الامام أبو المعالي رحمه الله من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه وهو مذهب الحشوية ومن اطمأن فكره الى النفي المحض فهو معطل وهو مذهب الدهرية ومن اطمأن فكره الى موجود وعجز عن ادراك حقيقته فهو موحد فهذا هو التوحيد على الحقيقة ومحو أثر العبد ورسومه لان مقام العبودية الاستهلاك في كل شئ حتى يشهد الله في كل شئ من غير حلول في شئ ويبقى بالله في كل شئ حتى لا تكون نسبته لغير الله في شئ اذ لا نسبة لشئ مع الله ولا محو لشئ من الحقائق وغيرها فما عدمها وثبوتها الا بحضوره وتجليات نوره لقوله تعالى وانا نحن نحيي ونميت ونحن الوارثون فافهم جدا وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضي الله عنه (الاقدام سلوك طريق الاتباع والائتمام بالرسل الكرام) معنى الاقدام هو قدومك الى الله بعزم جازم وأمر لازم على طريقة العمل التي طلبت بها لمذاوما عليها غير مفتر وليس بخارج منها فهذا هو الاقدام الى سبيل العلام وعليه سبحانه وتعالى المعونة والتوفيق والاتمام كما تكرم علينا بالهداية والاسلام وزادنا بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ومعنى الائتمام برسله هو الاتباع لهم فيما أمروا به كما انه اصطفاهم لقربه وامنهم على غامض سره وعلى كلامه العزيز ووحيه واطلعهم على خصوصية غيبه كما قال في حقهم صلوات الله عليهم عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وذلك لاتحاده به الا من ارتضى من رسول وذلك دليل الخصوصية لهم منه فوجب علينا اتباعهم فيما جاؤا به من فعل مرضي واجبا أو مندوبا وترك ما نهوا عنه حراما ومكروها كما قال وهو عز من قائل كريما يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ۞ ثم قال رضي الله عنه (لا يكمل العمل الا بالاخلاص والمراقبة من طلب الحق من جهة الفضل وصل اليه) يعني لا يكمل العمل للعبد الا اذا اخلص لله لا لسواه وقصد به وجهه الاعلى لا لغيره من أهل أعلى ومن أهل أدنى ومعنى المراقبة هي على النفس كيلا تفسد العمل بهوى أو ميل أو تنشط به لطلب مقام وحال فمتى خطرت بشئ من المفسدات أتبعها بالاستغفار لطلب الوجه لا لعلو الدرجات ليبقى العمل خالصا لوجه الله تعالى لان خطرتها اذا أنكرها العامل وعرفها تم عمله خالصا لله كما انه اذا ترك أمرها يزداد علما ورفعة لانكاره بما جاءت به نفسه واستغفاره لربه

ينال به رضاه مع قربه ويجب على أهل الاخلاص التوبة والاستغفار من الخطرات كما انه يجب الاستغفار على العباد من فعل السيآت لانها تبدل سيآتهم حسنات والاولون تبدل خطراتهم درجات ومعنى من طلب الحق من جهة فضله فهو كرمه عليه يوصله لا باجتهاد العبد وعمله ومعنى وصل اليه أى الحق هو الواصل الى عبده لا عبده هو الواصل اليه لان العبد لا يدرى الوصل من حيث عمله وجهده ولا من حيث بصيرته ورشده ولذلك دل على منعه بقوله لا تدركه الابصار والحق يدرك الخلق بقدرته وارادته ومشيئته وحكمته واتحد بذلك لنفسه فدل عليه بقوله وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ۞ ثم قال رضى الله عنه (التعظيم امتلاء القلب باجلال الرب) أى التعظيم لله باستشعار حضوره فلا يستشعر حضوره الا بما أودع فى القلب من نوره فكان هو الحاضر ونوره الناظر والامتلاء بذلك فى القلب هو التعظيم لعظمة العظيم فالتعظيم قد يقع من هيبته وخشيته فهذا يثمر فى القلب خوفا ووجلا ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها ما الوجل فى قلب المؤمن الا كضربة السعفة فاذا وجل أحدكم فليدع فانه يستجاب دعاؤه ويقع التعظيم لله مع شهود رحمته وفضله ومغفرته ويثمر ذلك فى قلب العبد فرحا وسرورا ولذلك قال سبحانه وتعالى فبذلك فليفرحوا ويقع التعظيم لله بمشاهدة شهود تجليات ذاته واستغراق نور العبد فى نور وحدانيته وذلك تعظيم المقربين وهو خير مما يجمعون فالاول يقع فى قلوب الخائفين والثانى فى قلوب الراجين والثالث فى قلوب العارفين وفى ذلك معان يطول شرحها على مقدار القربة وتحقيق الغربة ومحو النسبة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ۞ ثم قال رضى الله عنه (هم العارفين لم تزل عاكفة على مولاها) أى العارفون بالله هممهم الى الله لا تقصد سواه ولا تريد الا اياه ومعنى عاكفة عليه أى هممهم واقفة بين يديه وقاصدة اليه عليه اعتمدوا واليه قصدوا فخضعت لعظمته رقابهم صغارا وذلا حتى جعل لهم فى مقعد صدق شرفا وعزا فأجسامهم فى أرضه طائعة ونياتهم اليه صاعدة وقلوبهم له موحدة ونفوسهم به راضية وعقولهم لمشاهدة وأرواحهم على بساطه ساجدة وأسرارهم به عارفة وله منزهة وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقد تقدم فيما سبق فى دلالة هم العارفين ما فيه كفاية وشفاء ورحمة للمؤمنين وما فيه غناء فى طريق الرشد للمسترشدين وما تشفى به قلوب المحققين والكاملين وتقر به عين أهل البصائر من كمل العارفين وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (احرص أن لا يكون للشئ) أى من حيث نفسك ونسبتك ووجودك لانك كنت لا شئ ثم أوجدك من العدم وعدت شيأ وأنت الآن مع وجودك لا تقدر على شئ اجعل لنفسك الاستهلاك ولانانية جنسك الهلاك لتبقى بمولاك لان فناءك فيه بقاءك ومحوك فيه غناءك واستهلاكك بالكلية فيه صفاءك كن شيأ كلا شئ لتنال ما قاله المصنف (تعرف به كل شئ) أى تعرف الاشياء بمولاك لا بنفسك ولا بمعرفة أبناء جنسك ولا بقوتك وحولك بل بفضل ربك أحيالك بعد ما أفنالك فلما عرفت مقام الاستهلاك فى رتبتك أهلك من بعد غربتك وآنسك بقربه من بعد وحشتك ثم أبقالك به بقاء أبديا ديمومياسرمديا ورفعك من مقام ذلتك الى مقام عزتك كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ۞ ثم قال

Digitized by Google

رضى الله عنه (من لم يكن بالاحد) معنى الاحد هو الله المتصف بالاحدية المنفرد بالوحدانية كما قال قل هو الله أحد الله الصمد فالوحدانية والصمدانية من نعوته سبحانه وتعالى فهو المتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال التى لانهاية لها القادر المريد السميع البصير الحى العليم المتكلم بالكلام الازلى القديم الذى لايماثل العبارات ولايكون بالاصوات واللغات المنزه عن التقسيم والتعديد واحد قائم بذات التوحيد فهذا شئ من معانى الاحد وأما على كمالها فلا تحصى لاحد قل لو كان البحر مداد الكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فكل المخلوقات به ومنه وله ليس لها غيره موجدا فلو كان غيره لها موجد الكانت ثنوية ولو وجدت بنفسها الكانت آلهة كمثله فتبطل العبادة فى عالم الغيب وفى عالم الشهادة وهذا مستحيل لايثبت عقلا ولايثبت نقلا فالموجد للكل هو الله الواحد الاحد ۞ ثم قال رضى الله عنه (لم يكن بأحد) يعنى من لم يكن بالله لم يكن شيأ مذكورا ليس له وجود فبذا يثبت المجود ان لا أحد موجد لشئ غير الله ولاشئ حدث لنفسه لتنتفى الآلهة المعبودة ارغاما لمن عبدوركب وبرهان ذلك فى قوله والهكم اله واحد فمن هنا نعرف ان لا اله سواه والخلق حادثون بحكم قدرته معترفون بربوبيته مفتقرون اليه طامعون فيما لديه وان جحده الجاحد فهو معترف بذلك ومعاند فبذا نعرف ان الموجد لكل شئ هو الله فمن لم يكن بالله فليس له نسبة فى الايجاد كما قال بعض العلماء ومالا يكون ان لايكون وأن لو كان كيف لكان يكون ولذلك قال سبحانه وتعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون فهذا هو البرهان القاطع الذى يعضده الدليل الساطع لتثبت الاحدية وتنتفى كل الشركية وتثبت الوجودية منه صورها والمعنوية قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ۞ ثم قال رضى الله عنه (دليل تخليطك صحبتك المخلطين دليل وحشتك أنسك بالمستوحشين) يعنى ان الدليل هو القطع بالشئ على الشئ فمن صحب أهل التخليط فهو مخلط لانه مثلهم كما استخبر صحبتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا خالطت فاعرف من تخالل فان دين المرء على دين خليله وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى أوصانى حبيبى فقال لاتنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولاتجلس الا حيث تأمن غالبا وقال الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى حكمه

فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه
فكم من جاهل أردى * عليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه
وللشئ على الشئ * مقاييس واشباه
وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

ومعنى قوله دليل وحشتك الى آخره هو ان وحشتك من الله دليل على أنسك بغير الله وغير الله هم الغفال والجهال الذين ذكرهم الدنيا ومافيها ونسوا الآخرة ومافيها أولئك الذين ملكت الغفلة قلوبهم حتى حجبوا وملكت معانى الجهل أرواحهم حتى ارتدوا فنسأل الله السلامة

مما ابتلى كثيرا من خلقه بالغفلة وقال وهو عز من قائل كريم أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ۞ ثم قال رضى الله عنه (الزهد العزوف عن الدنيا والاعراض عنها لحقارتها وتركها لاستصغارها وهو انها) معنى الزهد فى الدنيا هو طلب الكفاية من باب الحلال ليكتفى به عن الحرام والمشبوه والسؤال مع ترك زوائدها فان طلب زوائدها وبال ومعنى العزوف هو الاعراض عن الدنيا أيضا والارتكان الى حب الآخرة ولذلك قال حارثة رضى الله عنه حين قال له عليه الصلاة والسلام ما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها وكأنى بعرش ربى قد نصب وكأنى بأهل الجنة فى الجنة الحديث فقال عليه الصلاة والسلام عرفت فالزم عبد نور الله قلبه انتهى الحديث أى بنور اليقين ومعنى هو انها انها أهانها الله ودليل هو انها فنا وهانها لو كانت عزيزة عنده لكتب لها البقاء كما كتبه للدار الاخرى وقال صلى الله عليه وسلم لو ساوت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء فالزهد فى زماننا هذا يوجد لفظا وأما حقيقة ومعنى فعزيز جدا فتراهم على وجود الدنيا حرصا وسبقا عليها سواء أتت من طريق الصواب أو الخطا لاسيما أهل زماننا هذا فانهم اشتروها بالاديان وأتعبوا فى طلبها الابدان ولا حصل لهم مع ذلك ظفر ووجدان بل الذل والخزى وفى الآخرة الحرمان فترى العالم على باب السلطان والصوفى يتملق لها كتملق المسيح الدجال والجندى يطلبها بسيفه والفقير بدلقه ومدرعته فلقد أتى فى هذا الوقت مضمون حديث ابن عباس رضى الله عنهما حين روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويرغبون فى الآخرة ولا يرغبون وينهون عن عطيات السلاطين ولا ينتهون ويقربون الاغنياء ويبعدون الفقراء أولئك أعداء الرحمن انتهى الحديث نسأل الله العصمة من بيع الرحمة بالنقمة ومن بيع الحكمة باللقمة ومن بيع الموعظة بالخرقة والعمامة قيل لابى القاسم الجنيد رضى الله عنه وعنا به ما بال علماء زماننا لا تنتفع بوعظهم كما كان السلف فقال لان علماء السلف ايقاظ والخلق نيام فنبه الايقاظ النيام وعلماء زماننا نيام والناس موتى فكيف يحيى النائم الميت فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ۞ ثم قال رضى الله عنه (قال تعالى ويهديك صراطا مستقيما قال الاستماع منه أو التبليغ عنه) يعنى ان معنى الهداية الى صراطه المستقيم من الرحمن الرحيم بواسطة جبريل عليه السلام بين الرسول والمرسل بقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ومعنى التبليغ هو الاداء للامة بتبليغ الرسالة من النبى صلى الله عليه وسلم لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمعها فالسماع منه صلى الله عليه وسلم خص به من حضره فى حياته وصاحبه فى ساعاته واعصاره وأوقاته والتبليغ هو ما رواته الصحابة عنه بعد انتقاله واعتمده الخلفاء الراشدون من بعده فيما يصلح المسلمين فى العالم الاشهادى ومعنى عقلى ذوقى فى السماع بين الرسول والمرسل وهو بغير واسطة جبريل انما هو فى سدرة المنتهى بين يدى عظمة الجليل فسمع منه كلامه القديم الذى سمعه الكليم الذى ليس بالحروف والاصوات ولا يعبر بشئ عن

اللغات ولا بالعبرية ولا بالعجمية وانما العربية دالة عليه والعجمية كذلك وهو الذى أداه جبريل بواسطة الوحى الى سيد المرسلين كما تقدم فى الوجه النظرى وأما فى الوجه العقلى الذوقى فليس كذلك بل هو سماع بلا واسطة بين المناول والمتناول وذلك خص به صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء ولم ينقطع عنه بعدها ولذلك قال وهو عزمن قائل كريم وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك الوجه العقلى أوجه كثيرة فى العالم الغيبى فيبلغ اليها صلى الله عليه وسلم ما سمعه عن الله فبلغه تبليغا معنويا من الروح الاحدى الى الارواح الاحدية فى فضاء الارواح قبل وجود آدم ووجود الاشباح فينشد الشاهد على ذلك بلسان يا عجبا يا عجبا من أب ولدا ومن ولدا با فهو صلى الله عليه وسلم أب لآدم من حيث الروح فى فضاء اللطيف وولد لآدم من حيث الشبوح فى فضاء الكثيف فبلغ منه عن الله فى فضاء الارواح الروحانية لانه سابقها وأب لها ومبلغ الرسالة فى الرتبة المحمدية لانه للنبوة خاتمها وماح للشرائع المتقدمة شريعته الا ما ثبته منها ولذلك قال وهو عزمن قائل كريم ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال أيضا وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك الآية ثم قال رضى الله عنه (وقال تعالى صراط الله الدلالة عليه والتبرى من الحول والقوة) معنى صراط الله هو الاستقامة عليه والعمل بأمر الله ومعنى الدلالة هى عن الانبياء ثم الخلفاء ثم العلماء ولم تزل تنتقل كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها ولذلك قال سبحانه وتعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فالعلماء يقولون بالتذكير لمن أراد طريق الملك الكبير على ما بينا فى الباطل ويوافق الحق ومجادلاتهم من حيثهم بقوله فذكر انما أنت مذكر وأثبت الذكرى لهم لمن سلك طريقهم بقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وأما معنى التبرى من الحول والقوة فهو لا حول العبد عن المعاصى وما والاها الا بالله ولا قوة للعبد على طاعة الله وما والاها الا بفضل الله والتبرى من حول الله وقوته هو بمعرفة العبد لنفسه ومعرفة العجز عن قدرة ربه كما لا يستوى قادران ولا مريدان فلو صح ذلك للزم وجود الهين واختلفت قدرتهما وارادتهما الاختلاف الهما وذلك مثل لمعرفة الخلق وعجزهم عن قدرة خالقهم لان القدرة والارادة من صفات الله العظمى القائمات بذاته العليا فمن شأن القدرة الحول والقوة والايجاد والاعدام ومن شأن الارادة تخصيص الامكنة والازمنة بما يجوز عليها منه على تأويل المشبه ففى الجائزات تخصيص بعضها على بعض كالرفع والخفض وقال على ذلك مبينا تخصيصه وارادته فى جائزاته من مخلوقاته وما منا الا له مقام معلوم تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ففى الآيات دلالات تخصيص الجائزات فلا يتصف أحد بهذه الصفات يعنى القدرة والارادة الا الله وحده ولا يتصف بالوحدانية الا الله لابطال ربوبية غيره فلا غير معه فان وجد الغير فالله محدثه وموجده فالمحدث الموجود الفانى بعد الوجود لا يماثل الكبير المعبود ولذلك قال ناهيا للمثلية ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فى الآية اثبات ملولا نا الجليل وعدم الشبيه والمثيل فافهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال رضى الله عنه (أنفع الكلام ما كان اشارة عن مشاهدة أو نبأ عن حضور) يعنى ان خير الكلام هو ما كان فيه اشارة لمشاهدة المتكلم سواء كانت باطنة أو ظاهرة غائبة عن حصول الادراك

أو حاضرة فتحقق بمشاهدة الحق هو الشاهد لك من جهة الفوق والتحت والخلف والامام والشمال واليمين أو أنبئت بحضوره في ذلك فاحسن اشارة لك أيها المجتهد السالك ما علمت بها من أولئك وأما مشاهدتك أنت من حيث ان شهدت الى الفوق غبت عن التحت وان شهدت التحت غبت عن الفوق وان شهدت اليمين غبت عن الشمال وان شهدت الشمال غبت عن اليمين وان شهدت الخلف غبت عن الامام وان شهدت الامام غبت عن الخلف وان قلت احداهما مشهود والاخر معلوم من حيث علمك له وادراكك له فليس ذلك كذلك ما يستوي معلوم ان كما قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أنت مع ما أنت معه في وقتك فاذا كان نظرك ما أحاط بالجهات الست المعروفات فكيف تستطيع الاحاطة بعلم الذات وقد سبق في قوله ولا يحيطون به علما وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء من حيث ادراكك أنت واتصالك تنال بالعلم المحيط المشتمل على سائر الجائزات البسيط وهو واحد لا يتعدد بتعدد ها بقوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ۞ ثم قال رضي الله عنه (الذكر ما غيبك عنك بوجوده وأخذك منك بشهوده) يعني الدليل على حقيقة الذكر الغرسية نسخها لك بالكلية مع أخذها لك منك أي من حيث ذكرك وغيابها لك عنك أي عن وجودك في حصل نسخك ثبت ذكره الغرسي فيك لاذكرك فانت تفني بذكره وتبقى به وتحقيق فنائك هو فناء الوهم والظلم وتحقيق بقائك هو بقاء الروح والسر فبذا تحرس طباعك ويكشف قناعك لقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ۞ ثم قال رضي الله عنه (الذكر شهود الحقيقة وخمود الخليقة) يعني ان حقيقة الذكر شهود المذكور لان الذكر الغرسي المعنوي السري ينسب الى الخليقة فلابد من خموده وسكونه مع تحقيق العلم بالله وشهوده لان شهود الحق ليس فيه حرف وصوت والذكر المعنوي له حرف وصوت لطيف فلابد من المغيب عنه أي عن الذكر الغرسي لما قد غيبك عنك لان نسخك أيها الذاكر بالذكر الغرسي ونسخ الذكر الغرسي بالمذكور فمن هنا يظهر لك أنهما ولايتان ولاية بالذكر الحقيقي الغرسي لقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي يخرجهم من سحب الهوى وظلمات الشك والطغوى الى الحق الصحيح والبرهان الصريح وولاية بشهود المذكور من جنابه الاعلى في حضرة دنى وخص بذلك كل الاولياء لقوله الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ ثم قال رضي الله عنه (كثرة الطعام والكلام والمنام تقسي القلب) لان بكثرة الطعام تقوى الشهوة وبكثرة الكلام تقوى الغفلة وبكثرة المنام تقوى الطبيعة فمن قويت شهوته وكثرت غفلته وقويت طبيعته ظهرت رعونته وقسا قلبه ولم يتب من ذنبه لقوله سبحانه وتعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ومعنا مبذلك ان من قسا قلبه لا يسمع الموعظة ولا ينتهي عن السيئة نائم عن المعرفة غافل ولذلك قال وهو عز من قائل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها فمن عمي بصره عن اليقين واصطم سمعه عما في كلام أرحم الراحمين ونام عن الطاعة والدين لم يكتب في ديوان المسلمين اللهم أيقظ قلوبنا من سنة الغفلة وأجل أبصارنا عن كمه الظلمة وافتح أسماعنا لتعي الموعظة انك أنت الله الكريم ۞ ثم قال رضي الله عنه

(من

(من أعرض عن تحقيق النظر لم يجب عليه تغيير المنكر لانه لم يتحققه كما يصلح المعرفته) معنى هؤلاء هم المقتصدون فى الدين العاملون بما علموا فى شريعة سيد المرسلين فلم يجب نهيهم عما هم فيه من العمل فى الدين لقصورهم عن رتبة المعرفة بالله واليقين لانهم لم يتحققوها ولم يصلحوا لمعرفتها ولم يتحققوا النقص والقصور فليس هم فى منكر يخالف ماذكر حتى يجب تغييره لان المنكر ما خالف الحد الشرعى فهذا يجب تغييره وأما تحقيق النظر فهو بالحكم العقلى فمن قام بما فى الوجه الشرعى لم يغير ما هو فيه لقصوره عن النظر العقلى لان الحجاب عليه مسدل قوى فلا يرفعه الا القوى فالعبد مأمور بالعمل والاسباب وعلى الله تيسيره وكشف الحجاب ثم قال رضى الله عنه مبينا لما تقدم فى المذكورين (شغلهم برؤية الاعمال) عن المعمول له واحتج عليهم بحجة قوية لطيفة معنوية لاتبين الا لذى بصيرة خارقة وشمس يقين شارقة (لاتكون له عبدا ولغيره فيك بقية رق) يعنى شغلهم بأعمالهم حتى وقفت حجتهم عن اليقين والشهود وأما فى اليوم الموعود فلا بد من الجزاء فلا يظلمهم من عملهم كما قد وعدهم بقوله ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وان أوجد العمال جزاء أعمالهم فى دار الدنيا بالحجب أو رياء أو سمعة فلا يلومون الا أنفسهم اذا أتوا فى الآخرة مفاليس استفزهم فى الدار الدنيا ابليس لان جزاء العمل قد تأخذه النفوس فى الدنيا اما لكثرة مال واما لعزة حال فمن لم يحاذر نفسه على عمله لم يسلم منها ولم يبلغ منها فى الآخرة أمله ولذلك قال تبارك وتعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ومعنى لاتكون له عبدا ولغيره فيك بقية رق أى لاتكمل لك العبودية حتى تخرج من كل بقية الى صريح الحرية وهذا فى طريق الاخلاص لا فى طريق الاقتصاد لان فى طريق الاقتصاد يطلب العامل من الله جزاء عمله ويرجو منه غاية أمله وهو لا يخيب راجيه ولا يرد داعيه يعطى سائله ما يشاء ومن مراده سواء أراده فى الدنيا أو فى الآخرة أو فى الدنيا والآخرة وأما أهل الاخلاص فلا تكمل عبوديتهم له وفيها مثقال ذرة لغيره أو علة لطلب شئ من دونه سواء كانت فى الدنيا أو فى الآخرة ولذلك قال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لان الاخلاص تخصيص للمعارف وهو عارية لخالق المعارف فقال تعالى ألا لله الدين الخالص لكى لا ينسبه أحد من المخلوقين لنفسه فيتكبر به على أبناء جنسه فانهم ما فى ذلك المعنى لتغنم وبالله التوفيق ثم قال رضى الله عنه (من عرف أحدا) أى من المخلوقين بأسرهم من أقصاهم الى منتهى أدناهم (لم يعرف الاحد) أى كيف يعرف الاحد والاحد هو الله الصمد فمن عرف غيره لم يعرفه لان الغير هو الحجاب والحجاب هو العذاب ثم قال رضى الله عنه (ما بان عنه أحد) أى ما بان عن الله من حيث علمه أحد لان علمه صفة كشف فلا يخفى عليه شئ والدين ستر والستر حجاب والحجاب عليه محال الا يعلم من خلق الآية ويحتمل قول المؤلف رحمه الله معنيين فى قوله ما بان معنى بين ومعنى بيان والبين فى الحاشية والبيان هو الذى شرح عليه والفرق واضح بين البين والبيان لان الاعلى اذا تجلى بان أى ظهر واذا ظهر بهر فهو أقطع وأقوى لان القطع هو على ما جاء به غيره فلا غير معه والقوة هو اشراق نوره ليستضاء به ولذلك قال الله نور السموات والارض فدل على

حدة برهانه وقطع ما جاء به غيره ثم اتبعه بقوله (ولا اتصل به أحد) أي من حيث الادراك والوجود في النزول والصعود لانه يدرك ولا يدرك ويجد ولا يوجد وهو الواصل ولا يوصل اليه ونهاية القلوب العلم به مطلقا ونهاية العقول التنزيه له عن غيره محققا فالعلم به من غير كيف والتنزيه له من غير عطال هذا مذهب أهل التحقيق واليقين والتوفيق ❁ ثم قال رضي الله عنه (ما بان عنه من حيث العلم) أي من حيث علمه لان علمه صفة كشف ينكشف بها المعلوم لا يعزب عنه مثقال ذرة ومعنى البين واضح ان الله لا يخفى عليه شيء ومعنى البيان واضح في سورة الرحمن في قوله علمه البيان فافهم ويكشف للعالم به ليخصه بما يشاء فما بان من حيث علمه هو بفضله وتصريفه برحكمه كما قال علم الانسان ما لم يعلم وعلمناه من لدنا علما والرحمن علم القرآن الى غير ذلك من الآيات والبيان ❁ ثم قال رضي الله عنه (ولا اتصل به من حيث الذات) هذا بيان لما سبق قريبا بأنه يدرك ولا يدرك لان من شأن الملك الادراك ومن شأن العبودية عدم الادراك ان شاء الملك الاعدام فلا موجد وان شاء الايجاد فلا معدم من غير معين ولا نصير ولا سلطان ولا وزير هو المحيط الكبير لا اله الا هو له الملك في الاولى والاخرى السلطان من حيث القهر والكبير من حيث الكرم والبعيد من حيث التنزيه ولذلك أخبر عن نفسه منزها لذاته في كمال قدسه بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فسبحان المتعذب بالادراك لما هنا وما هناك ممكن الجائزات ساطح الارضين ورافع السموات المتنزه عنهما بالاسماء والصفات كما تنزه عنهما بأحدية الذات جلت ذاته وصفاته وأسماؤه وآياته عن ادراك مخلوقاته من أهل أرضه وسماواته وهو بهم عليم ولهم من العطال مقيم ولذلك قال الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الآية ❁ ثم قال رضي الله عنه (الاجسام أقلام) أي الصور الجسدانية كالاقلام كما أنها تتحرك بارادة العلام تتحرك بالعمل من خير وشر فهي كالقلم تنسخ ما أرادته القدرة على تأويل الارادة مع طلب العبد وحسن ظنه (والارواح الواح) يعني يكتب فيها ما جرى به القلم الجسمي المرضي والعمل المروي لان الروح هو صحيفة العبد والجسم قلمه وان شئت قلت طائره المعلق بعنقه وان شئت قلت لوحه المحفوظ المكتوب فيه رزقه وأجله وما عليه وله وان شئت قلت الروح خلق الآخرة وان شئت قلت هو الطائر بوجود الدنيا الجسماني المحرك فيه والمسكن بحكم الامر الوحداني ولذلك قال تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية (والنفوس كتوس) أي يمتد منها القلم ويجري على الصحيفة بسطور بينة وآيات مبينة تسطر في الصحيفة الروحانية المعلقة بالعنق كما مر ومعناه هو على النفس مثل مداد المحبرة والجسم كالقلم والروح كالطرس ليبين للعبد ماله وعليه فيقرأ ذلك من لا يقرأ ويدري به من لا يدري فيجب على العاقل ان يزن ما يكتب بقلم جسمه ويرى ماذا يمد من محبرة نفسه ويبصر ماذا يجري قلمه في صحيفه روحه فان الوعد آتي وما أكتمه اليوم وكتب خافي يظهر في الآخرة في العنق بادي فالمستور اليوم يكون الظاهر والغائب هنا غدا هو الحاضر فاقرأ عملك قبل ان يأتي أجلك فان كان خيرا فاشكر الله ودم على ذلك تنل رضا الله وان كان شرا فتب ما دامت تقبل المعذرة فانه يوشك ان لا تقبل أما سمعت كلام

الله وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فاحذر يا فتى تأخير التوبة من عام الى عام أو من شهر الى شهر أو من يوم الى يوم أو من نفس الى نفس بادر بالتوبة فى الاوان ولو كنت كثير الذنوب ربك غفور منان اذكر أهوال الساعة واطمع فى رحمته الواسعة فان ذكر الساعة يخوفك من عملك ويذكرك أجلك وذكر الرحمة يجلى الغمة ويقوى العزمة على ان لا يعود الى هتك الحرمة روى ان الله تبارك وتعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود انذر الصديقين وبشر الخاطئين فتعجب داود من ذلك فقال الهى كيف أنذر الصديقين وأبشر الخاطئين قال الله تعالى يا داود قل للصديقين لا تعجبوا وبشر الخاطئين قل لهم لا تقنطوا وقال وهو عز من قائل كريم يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ۞ ثم قال رضى الله عنه (الوحدة بحضرة تلهب) معنى وحدة الحق سبحانه وتعالى سابقة حيث لا كون ولا مكان ولا انس ولا جان فلا وجود لشئ معها البتة وقوله تلهب أى عدم محض وعماء وكانه رحمه الله رد على من يقول بقدم العالم ومعنى الوحدة الخلقية هى العزلة فى الخلوة لان الوحدة والعزلة نارية على النفس تلهب عليها لتحرق رعونتها وتميت دغائلها تحبسها من مرادها وتقعدها عن شهواتها كما قال معاذ بن جبل الرازى رحمه الله جاهدوا أنفسكم بأسياف الرياضة قيل وكيف الرياضة قال هى أربعة اقلال الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام واحتمال الاذى من جميع الانام ويتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وقال بعض المشايخ من شق عليه ركوب الاهوال لا يرتقى الى معالى الاحوال ولا يبلغ مراتب الرجال (ثم نظرة تسلب) أى نظرة جالية ازالت العدم السابق بالوجود الكل الخلائق بها تعين وجود كل موجود ومدد كل ممدود وليس هذا الوجود مانع وحدة الحق السابقة ومعنى آخر أى نظرة من عين الجود بكرم المعبود تسلب العبد عن نفسه وتحضره بربه وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (اياكم والمحاكاة قبل احكام الطريق وتمكن الاحوال فانها تقطع بكم) يعنى اياكم أيها المريدون من المذاكرة والمحاكاة مادمتم صبيان فانها تقطع بكم عن ايصال المنان قبل طى الطريق وطى المعارف فى معرفة المعارف وقبل طى الاحوال فى حال الاحوال فان استعجلتم قبل ذلك فانه عليكم وبال لان النفس تفرح بالحال وكثرة الالتفات الى المحال ولم ترض بالاطراق والمراقبة عليها وتكره الوزن بنور الله العقلى لانه يظهر عيوبها ويكشف غيوبها ويعلم ما أسرته وما أجهرته كما أبانه عليها أربابها وذلك مشق عليها لان فيه قطعها فاشق المشقات وأهول الاهوال العظيمة على النفس الحرص عليها والمراقبة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لقوم من أصحابه قدموا من الجهاد مرحبا بكم حياكم الله قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس فيجب على المريد قبل تمكن أحواله ان لا يكثر كلامه ومحاكاته كما ان النفس فى خلافها ليرتقى الى أشرف المسالك خير له من ان تقطع به

Digitized by Google

نفسه فى ثنيات الطريق لاهو مع الحق فى الحضرة ولاهو مع الخلق فى الغفلة فتفترسه الاسباد قبل ان يحضر فى حضرة رب العباد ولذلك قال المشايخ وقفة المريد شر من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الارادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستصلاء حالات الكسلة وكل مريد وقف فى ابتداء ارادته لايكون له شئ لان المريد مدعو الى الملك فلا يمكنه التأنى فى طريقه والاهلك فان حث السير وترك الوقوف ملك وان استحلى بالكلام والحاكاة انقطع عمن ناداه ودعاه وتخلط عليه دواعى داعى فافهم وربك مفتح أقفال القلوب ويتكرم على من يشاء بمطالعة علم الغيوب باقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ۞ ثم قال رضى الله عنه (ترك الدنيا للدنياشر من أخذها) يعنى تركها لاجل شئ من أجلها أو لطلب جاه أو لطلب غير الله فهذا ليس بتارك لها لانه ما أنفقها الا لاكتسابها وجمعها وقد يترك قليلا لطلب كثير من غير حيلة تركها الحيلة أخذها فهذا شر كبير على فاعله لان تركه لاجل طلب علم ليكنى بانه زاهد فى الدنيا تارك لها وهو مع تركه فى طلبها فلا فرق بين هذا وأخذ الربا وأكل الحرام وقيل ان الاكل بسيفه خير من التحمل الاكل بدينه اعلم أيها التارك للدنيا فى طلبها انما هى فريسة وأنت كلبها فما تقول غدا يوم لاينفع ذا مال ماله ولا ينفع حميم حميمه تجد ما قدمت من حسنات وما أبديت وأسررت فى نفسك ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا قال بعض العلماء مصيبتان للعبد من بعد موته غير موته لايصاب بمثلهما يؤخذ ماله كله ويسئل عنه كله وقال صلى الله عليه وسلم الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر ۞ ثم قال رضى الله عنه (سئل عن قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا يا بلال قال من ثقل الغيبة عنه) معنى قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا اظهارا للراحة واختيارا لنباء بلال عن وجودها وتحققها بقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فحدث صلى الله عليه وسلم فقال أرحنا يا بلال أى من ثقل الغيبة بالشهود والقربة بالشهود التام من تجليات العلام ليس مراده بسؤال بلال لطلب الراحة منه انما مراده اظهار ما منه صلى الله عليه وسلم لبيان معرفتها لبلال وأما من حيثه صلى الله عليه وسلم فقد وصف الله له النعمة التامة الفاضلة العامة وصفها له من اصطفاه وهداه واجتباه فى قوله ويتم نعمته عليك خصوصا لاعموما وفى السبع المثانى على الاجماع من الانبياء والشهداء والصالحين من الاولياء وعام المسلمين بقوله عليهم فالاول خص به صلى الله عليه وسلم منه اليه لعظمة فخره وعلو مرتبته والثانى نزل عليه خواص المسلمين وعامهم وغيرهم من الانبياء المتقدمين ويتفاوتون فى النعمة المنبسطة عليهم على حسب قربهم اليه صلى الله عليه وسلم لانه مدينة العلم وبواب الحضرة فلا طريق لاحد الا من متابعته فى العالم الاشهادى ولا دخول ولا وصول لاحد فى الحضرة الا بفتح باب سره فى العالم الروحانى لان سره امام السدرة فافهم وعلى ذلك درج المصنف بقوله ۞ (لا طريق أوصل الى الحق الا من متابعة الرسول فى أحكامه) لانه جاء نا بالبينات ونسخ الشرائع المتقدمات فلا طريق لاحد الى أحكامه الا باعتقاد نسخ ما قد امه مع اعتقاد انها واجبة على الامم الماضية ولا يكون قد حا فى الرسل المتقدمين

وطعنا فى دينهم لان القدح فى رسالة أحدهم قدح فى الجميع والطعن فى دين أحدهم طعن فى الجميع فالايمان بما سلف واجب والاقتداء بما خلف فرض ولذلك قال فى الجميع من الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين وما أرسلنا من رسول الا ليطاع فلا عبرة بمن كذب فيما سلف ولا من خرج وابتدع فيما خلف والاقتداء بما اتفق على منهج الحق وعلى الله قصد السبيل وهو الهادى الدليل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال رضى الله عنه (اذا أراد الله بعبد خيرا آنسه بذكره ووفقه لشكره) معنى الخير هو الهداية والتوفيق والانس فى حضرة القدوس مع أحسن رفيق وتحقيق ذكره وهو دوام استشعار حضوره بذكر ليس فيه حرف وصوت وليس مع وجوده عدم وفوت فهذا هو الذكر المفيد وغاية تحقيق التوحيد وأما من حيث الذكر اللفظى باللسان أو الجنان فلا بأس به لكن قد يذكر بلسانه وجنانه ويخالف أمر الله بأركانه ويزعم ان هذا من شانه لبقائه مع نفسه لها وعليها فمن وفقه الله للعلم به ملازما مع مقارنة خشيته فقد تحقق برعايته وهدايته ومعنى الشكر هو على ما أسبغ من النعم وأفاض من الحكم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أودع معروفا فليشكره ومن نشره فقد شكره وان ستره فقد كفره وقال الماوردى رحمه الله من ستره معروف المنعم ولم يشكره على ما أولاه فقد كفر النعمة وجحد الصنعة انتهى كلامه وتحقيق النعمة وفيضان الحكمة هو من المنعم الحكيم وتحقيق شكره هو شهود صفة الشكر الازلية القائمة بالذات العلية فبذا يستوى الشكر والرضا وصل أو قطع ضر أو نفع أعطى أم منع فهذا تحقيق مرتبة الرضا وهو خير من الصبر ومن الشكر لان الشكر للمزيد والاثابة والرضا للعيان والانابة وأما المحبة فهى أعلى الاحوال فمرضاه سبحانه وتعالى سابق لرضاهم فلا رضاهم الا من رضاه لقوله تعالى رضى الله عنهم اشارة الى سابق رضاه عليهم و رضوا عنه أى بما خصهم وتولاهم وذكرهم سابق ذكرهم وحبهم سابق حبهم لان حبهم له من حبه لهم وذكرهم له من ذكره لهم فهو موجدهم وسابقهم ومخصصهم ووليهم ولذلك قال سبحانه وتعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ثم قال رضى الله عنه (من أنس بالخلق استوحش من الحق بالغفلة تنال الشهوة) يعنى ان معنى الانس بالخلق هو دليل الوحشة من الحق لانهم اما أغفلوك عن الطاعة واما قصروا لك فى الثانى باب الطماعة فمن طمع فى الفانى خربت عليه فى دار الآخرة المبانى فالانس بالمخلوق حجاب عن الخالق وأما من أنس بالحق فهو بعكس ذلك لا يأنس بالمستوحش الهالك ولا يطمع فيما طمع أولئك كما روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه قال ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود من حب حبيبا صدق قوله ومن أنس بحبيب رضى بفعله ومن وثق بحبيب اعتمد عليه ومن اشتاق الى حبيب جد فى طلبه يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين فهذا معنى الانس بالله والوحشة من خلقه وبالله التوفيق ثم قال رضى الله عنه (مخالطة أهل البدع تميت القلب من كان فيه أدنى بدعة فاحذر مجالسته لئلا يعود عليك شؤمها بعد حين) معناه على المبتدعين الذين لم يفرقوا فى المجالس ولا يعرفوا قبيحها فى ضرها

ونفسها فقال مخاطبا للمتدين وزاجرا له عن المذكورين من أهل البدع الذين ولى نور الايمان عنهم وارتفع حتى خرجوا عن الحد وابتدعوا الكفر وجهم عن الحد وابتداعهم بيت قلب مجالسهم الذى لا يعرف تأويل كلامهم فالبدعة ما خالفت الكتاب والسنة سواء كبرت أو صغرت لان جوهر الخلاف واحد وهو الظلمة والكبير منها ما كبر جرمه والصغير ما صغر جرمه فقال مبينا عن صغر جرمها من كان فيه أدنى بدعة أى فى أقل شئ من الخلاف ولو كان مثقال ذرة احذر منه أيها المتدين فانه يربو فيك حتى تصل نهايته وثمايته صفة العدل التى هى غضب الله فترجع تلك الصغيرة كبيرة ومعنى يعود عليك شؤمها أى يظهر فيك معناها ولو بعد حين فمن لم يعرف استمالة لفظ البدعة مع لفظ القائل بها عرفها يوم يأتيه فى نفسه شؤمها لان الخلاف معرفته فى الباطن أشد من معرفته فى الظاهر فكيف بمن لا يعرف البدعة فى لفظ غيره كيف يعرفها فى نفسه لان البدع فى طى النفس أخفى من دبيب النمل ودبيب النمل لا يعرف الا بقوة نور العقل وأما ظاهر البدعة لفظا فهو يعرف بحكم النقل وبالله التوفيق ثم قال رضى الله عنه (اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتخرق له العادات فلا تلتفتوا اليه ولكن انظروا كيف هو عند امتثال الامر والنهى) معنى الرجل هو المتعبد أو مريد تلميذ لشيخ أى شيخ مشهور متسم بالولاية ومنتصب للدعاية أو غيره من سائر الخلق فقال اذا ظهرت له نتيجة عبادة الكرامات وخرق العادات فهى ثمرها ومحصولها فنهى رحمه الله عن الالتفات اليه لحقارتها لانها شئ يعود فى الآخرة لا شئ لان من قصد الكرامة فاتته الاستقامة ومن ظهرت عليه فى ابتداء واعتبرها لم يثبت انتهاء وعطف مستدركا بقوله ولكن انظروا كيف هو عند امتثال الامر والنهى نعم يحب الوزن والفرق كما ان الاكرام للانبياء بالمعجزات والكرامة للاولياء من غير التفات وبعضهم يطلبها مقصوده فوقعت من دون الله معبوده فافهم الفرق بين هؤلاء وتقع الكرامة بالسحر والتكهين والاسماء وعلم الضمير فأتى على هذا الوجه خالف الحد وخرج من دائرة الدين الى دائرة أهل السحر والتكهين فهذا يرجع الى علم هاروت وماروت هما شيخا هؤلاء المتصنعين المتصفين بذلك كما وصفهم بارئهم ببابل هاروت وماروت يعلمان السحر وهو خلاف حد الله وخلاف طريق رسول الله فأنبأ عنهم الخلاق بقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق * (تنبيه فى تأويل الكرامات والمعجزات) * ان المعجزة للانبياء عليهم الصلاة والسلام لاظهار رسالتهم ونبوتهم واشادة مجدهم على غيرهم فظهور المعجزة ليعتبر كافر ليسلم ويقر أو لسجود ساحر فيؤمن ولا يضر فقد أخبر الله بتأويلها فى آياته بقوله فى حقهم صلوات الله عليهم واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار ومعجزاتهم واضحة منها انشقاق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المعجزات العظام حين أظهره الله لابى جهل وأمثاله وأشياعه وأشكاله حين وعدوا بالاسلام فسبق عليهم قضاء العلام بعد انشقاق القمر وبرهان ذلك فى كلامه العظيم بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر

حكمة بالغة فما تغنى النذر وفى عصى موسى اذ تلقفت ما أتى به سحرة فرعون وبرهانه وان ألقى عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين فسبق الايمان لمن سبق كسجود السحرة أى سحرة فرعون وسبق الكفر على من سبق عليه كادبار فرعون وسائر الكفرة وفى آية عيسى روح الله ومعجزته اذ يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله فاعتبر بذلك من اعتبر وصد عن ذلك من أصر وكفر وفى معجزة ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رمى بالمنجنيق فشرح الله صدره من كل هم وضيق فظهرت المعجزة الشارقة والآية الخارقة قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فالكتاب والسنة والاجماع شاهدة بالمعجزات للانبياء لان المعجزة واجبة على الانبياء لتصديق رسالتهم لان الله أرسلهم الى أهل كفر صريح فلا يؤمن أحد منهم الا برأى العين وقد ألبس الله الانبياء أوصافه بقول كن رحمة لمن أراد له الاسلام والايمان والاحسان فالمعجزة للنبى التى أرادها لا تحصى دلالاتها وآياتها ففيما سبق كفاية * وأما الكرامات فهى للاولياء والسحرة تنقسم الى قسمين بيان وتأخير واجراء وتقدير فالاجراء والتقدير هو الذى يجرى من غير اختيار على الاولياء والبيان والتأخير قسمان فالبيان للسحرة كما قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا والتكهين بتقدم الشئ وبتأخره والتقديم والتأخير ما كان فيه اختراع للعبد من حيث نفسه فهو وان كان اكرام سحر وتكهين كما هو اختيار قبل وقوعه كصفة الكاهنة السطيح حتى أخبرت حليمة برضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه معها والكرامات على وجهين للمتعبدين عابد يعبد للكرامة فوقعت له لان المعبود كريم لكنها تكون ثمرة عمله فلما استضارها على معبوده خاب أمله فهذا نقص واستدراج على طالبها واجتهاد العابد لاجلها وأما من صدق بوقوع الكرامة فقد انتفع وأما من كذب بوقوعها فقد خرج وابتدع قال وهو عزمن قائل كريم مظهر البرهانها من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ والسبب هو العمل والكرامة مشاهد وقوعها واعلم ان القول فى الكرامات الحسية يطول وتبعه على تأويلها أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه بقوله ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم لما هم عليه من الرسوخ فى اليقين ووجه آخر هو اكرام العابد الواحد بنور اليقين وتحقيق التمكين كما قال أبو الحسن رضى الله عنه انهما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وكرامة العمل على الاهداء والمتابعة وترك الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب وذو خطا وخطل فى العلم والعمل بالصواب لكن اكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب فنفى اليقين وخلع الرضا وكل كرامة لا يصحبها الرضا من الله وعن الله فصاحبها مستدرج مغرور وناقص وهالك مثبور * قلت وان ظهرت الكرامة على يد من أكرم بالايقان والعيان والدليل والبرهان فليست هى بمنقصة لمن يتسمها لانها جرت من غير اقتصاد وطلب لها ونية فهذا معنى الاجراء والتقدير كما تقدم لان الولى لا تأتيه الكرامة باختياره ولا متى أرادها لانه غير مكلف وهذا معنى

الفرق بين النبوة والولاية مع ان كل كرامة لولي هي معجزة في حق نبيه لان نور من فوق نبيه وان لم تأت وتجري على صاحب اليقين والبرهان والشهود والعيان فليس بمنقصة في مرتبته عدم ظهورها عليه لان الكرامة كل الكرامة صحة الاستقامة وأما ظهور الكرامة الحسية فليس هو شرفا في حق الكامل العالم العامل انما هي لتصديق سالك أو ليرتفع وهم شاك أو لاسلام كافر أو لتوبة عاص فاجر وأما من حيثه فلا يحتاج لها لقوة اليقين فما مع العين أين و بالعكس ان لم تات الكرامة الحسية فان لم يصدق السالك والشاك والكافر والفاجر بالعمل والطاعة والزهد والقناعة والوفاء والصفا ومتابعة المصطفى فقد حرم احترام الاولياء وربما دخل مع الاشقياء نسأل الله السلامة والعافية وأن يجعلنا من عباده المقربين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ ثم قال رضي الله عنه (من اكتفى بالكلام في العلم دون الاتصاف بحقيقته فقد تزندق وانقطع) يعني من اتخذ العلم للكلام والمجادلة وللاجابة به على الغير ولو ما سأله دون الاتصاف بما فيه من العمل به والاجتناب بما نهى عنه فهذا عين الانقطاع عن الحق ولو علم بالعلم افظا كما قال واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها معناه علم بالعلم ولم يعمل به أو عمل ولم يخلص عمله فهذا هو الاخلاص من منهج الفلاح والمصيبة العاجلة في الماء والصباح فمن لم يقم بأمر الحق انفصل وتزندق لانه خالف ما علم به وأدبر عن شيء محقق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يقوم العلم بالعالم حتى يعمل به وقال في وصية أبي هريرة رضي الله عنه الخلق كلهم موتى الا العالمون والعالمون موتى الا العاملون والعاملون موتى الا المخلصون فحقيقة العلم الاتصاف بما فيه والرجوع عما زجر من مناهيه لان منفعة العلم العمل ومنفعة العمل الاخلاص كما ان منفعة الاخلاص المعرفة بالله تعالى ولباس العارف الخشية والهيبة والاجلال وقال صلى الله عليه وسلم ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ثم لا يعمل سبعين مرة فحامل العلم اذا لم يعمل به وينته عن اجترائه وظلمه لا يسمى عالما على الحقيقة لقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة أي علموا بالعلم بما فيها ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بما فيها من الواجب ولم ينتهوا عن الحرام مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا و بالعكس من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقال صلى الله عليه وسلم في شرف العالم اذا عمل بما هو عالم واجتنب المظالم قال أتاني جبريل عليه السلام وقال يا محمد الا تحبون عبدا آتاه الله علما فان الله سبحانه وتعالى قد أجله وأكرمه حين علمه العلم ومعنى الحديث هو على العلم النافع لانه أصل العلم الظاهر لان العلم النافع يتعلق بالقلب فيورث الخشية ويحرس الظاهر والعلم الظاهر يتعلق بالمفهوم فلا تصحبه الخشية فلا يحرس باطنا ولا ظاهرا اذا لم يتعلق بما في القلب فافهم ۞ ثم قال رضي الله عنه (من اكتفى بالتعبد دون فقه خرج وابتدع ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر وانخدع) يعني ان المتعبد الذي لم يتفقه في دينه ولم يعرف واجبا ولا جائزا ولا مستحيلا في علم كلامه يخرج ويبتدع ويضل عن السبيل فوقع لهوا قتيلا فمن عدم الفقه في الدين خرج في أفعاله وأقواله وأحواله الى مذاهب المبتدعين كالقدرية والجبرية اما نفي محض واما اثبات محض حيث لم يأخذ ما يكفيه من الكتاب والسنة قبل تعبده لان من أخل في العبادات لم تصف له معاني الارادات ولم يشعر

بوقائع المصائب والآفات كما روى أبو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا وللانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وقال في حديث آخر ولعالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وأما من لا عنده دليل من القرآن ولا دلالة من البيان ولا برهان بوقائع علم الايمان لم يسلم من وقائع الشيطان فأي ميزان لمن لا يتفقه في الدين تعرض عليه وقائع الشياطين فهذا أقرب الى البدعة والخروج لعدم دخوله في الفقه والولوج قال تعالى ليتفقهوا في الدين لان من لم يتفقه في دينه يفسد أكثر مما يصلح وخاص الفقه فقه بديهة العقول مع ما تيسر من النقول وبالله التوفيق ومعنى قوله من اكتفى بالفقه دون ورع لم يسلم من معاطاة الرخص فاغتر وانخدع لان الفقه للورع لا للرخص والورع من كل حرام ومشبوه وسؤال في الظاهر ومن كل حائر ومقام ومرتبة في الباطن فهذا هو الورع الخاص ورع أهل المعرفة والاخلاص لان العارف يلزمه ان يتورع عن كل ما سوى الله من حال ومقام وآل وهذا صعب جدا على المتعبد الزاهد وسهل جدا على العارف الواجد اقوله صلى الله عليه وسلم وانه ليسير على من يسره الله عليه ۞ ثم قال رضي الله عنه (ومن قام بما يجب عليه من الاحكام تخلص وارتفع من لا يأخذ الادب من المؤدبين أفسد من يتبعه) يعني ان الواجب من الاحكام هو ما فرضه الشارع عليه الصلاة والسلام وان المسنون منها ما سنه وأكده تأكيدا يتعلق بالفرض كالعشر المؤكدة المتعلقة بالفروض الخمسة وان المنهي اجتناب ما نهى عنه في أحكامه نهي تحريم أو كراهة وقد مر بيان ذلك فيما سبق ويجب على المتدين كثرة ذكر الله وتلاوة القرآن وكأنه يناجي من القرآن كلاما ممتدبرا لما فيه مستلذا بمعانيه فهو أساس الاحوال ورأسها مع ملازمة ذكر الله باستشعار حضور المذكور كأنه لم يغب لحظة ولا نفسا واحدا من يقينك مع الاعتقاد بأنه الشاهد لك لا أنت والواصل اليك لا أنت لتسلم مما اعتقده كثير من أهل التشبيه الذين يعتقدون أنهم الواصلون والشاهدون وقد تقرر ان من ثبت فيه حقيقة وجب طردها الى من هو أهلها فهذا معنى التخلص والرفعة * ومعنى من لا يأخذ الادب من أهل المعرفة والنسب فقد فسد وقع في العطب وبفساده أفسد من يتبعه فكيف يؤدب من لا يؤدب فتحقيق الادب هو مراعاة الحواس الخمس والسبعة الاعضاء وفي الادب أحاديث كثيرة مشهورة مسندة منها ما قاله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي ومعنى هذا الحديث يرجع الى الخشية من الله والهيبة له لقوله في حديث آخر أنا أقربكم الى الله وأشدكم خوفا منه فمن لزمه الخشية في السر والعلانية فما أدب ولا تأدب وما ذاك الا لنقص دينه وعقله وتحقيق الادب هو أدب الباطن ليتأدب الظاهر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم على الذي يعبث بذقنه في صلاته لو خشع قلبه لخشعت جوارحه أي لو تأدب قلبه لتأدبت جوارحه ۞ ثم قال رضي الله عنه (الشيخ من جمعك بحضوره وحفظك في مغيبه آثار نوره) أي الشيخ من لم يزل نوره في صدرك في مغيبك وفي حضورك لانه ان غابت صورته لم يغب معناه وحقيقة الشيخ المربي من رفعك من الولاية الصغرى الى الولاية الكبرى كما لا تقف في هذا

المقام مثل حمار الرحى الشيخ من رفعك الى مرتبته التى هو فيها مقيم تحت عظمة العظيم بسابق عناية ما سبق لك من العليم وتحقيق نصيحته ان كانت صافية لايخفى عليك ما يعلمه خافية اجتمع به فى السدرة فيغشاك النور الالهى الفائض من العالم الاحدى الربانى الذى فيه كم من غريق لاتسمع فيه همسا ولاحركة وهذا خاص التوحيد ونهاية البيان والمزيد فتقول هاأنت وربك وهذا سر محمد سيدك امام أهل الحضرة وفتاح باب السدرة فهذا هو الشيخ المرشد الذى يسرع بالاسرار الى حضرة القهار ويلحقك بالابوة السرية وبالامومة الروحانية ومعنى حفظك فى مغيبه آثار نوره أى خصك بالشهود فى حضرة المعبود وقد يراد بالحفظ فى الغيبة حفظ الحدود فى أوقات الشهود وقد يراد به نور الاشارة المكتسب من العبارة والله أعلم هكذا فى الام بخط الشيخ فان غابت عليك جسمانيته لم تغب عليك روحانيته لان المغيب قد يقع بحياة وموت وهو مغيب الاشباح وأما الارواح فلا تغيب أبدا فما سواه انتقلت الصور أو بقيت ولذلك قال سبحانه وتعالى ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ۞ ثم قال رضى الله عنه (مع الفقراء بالانس والانبساط ومع الصوفية بالادب والارتباط) يعنى أن الشيخ المرشد اذا كان من علماء الآخرة ينزل بحاله العظيم الى الاحوال أجمعها بما يليق بها كما انه ضامها وحاويها والاحوال شتى أحوال الفقراء فيضية كفيض البيضة الملقاة فى البرية العظيمة فيجب من مالك البرية وهو الشيخ ان يؤنسهم ولا يوحشهم ويبسطهم ولا يقنطهم فاذا خرجوا من صدفة البيضة طيرهم ويجب عليه مراعاتهم ومعنى مع الصوفية بالادب والارتباط أن الصوفية قد صفت لطائفهم وتطهرت جوارحهم فيجب الادب معهم والمراعاة لهم لانهم طيارون من العالم الاشهادى الى العالم الروحانى فيجب على الشيخ حراستهم من صقور ظلم الجهل لاتخطفهم فيخرجوا من العالم النورانى الى الظلمانى فان رتعوا بالعناية واسقعوا الداعية وامتثلوا المن وسم بالولاية صفت مرآتهم كل الصفا فاتنقش فيها عوالم الجبروت وعوالم الملك والملكوت فيطالعون ما فى اللوح المحفوظ فيصفا يقين لان اللوح كالمرآة ينتقش فيه ما فى العالم الاحدى فيطالع القلب المتخلى المتسدمن القلب العقلى لتأديتها الى العالم الملكى والملكوتى ليأخذ أحسنها ويترك شرها لان ما فى اللوح يؤخذ بعضه ويترك بعضه ما فى يمينه انتقاش فضل الله من الصفة الازلية فهذا يؤخذ وما فى شماله صفة عدل الله فهذا لايؤخذ لانه من صفة الغضب القديمة فهذا معنى بديع لايعرف الا على البديهة القوية بكمالها السابق فعرفت ما قد سبق فى اللاحق بعون الله وتوفيقه وذلك معنى بى يسمع وبى يبصر الى آخر الحديث وبالله التوفيق ۞ ثم قال رضى الله عنه (ومع المشايخ بالخدمة والاتعاظ ومع العارفين بالتواضع والانخفاض) معنى المعية مع المشايخ والخدمة لهم هو حرمة احترامهم وعلو مقامهم على غيرهم لان من لامسهم انتفع ببركتهم اما النيال من فضلهم العميم الفائض عليهم من الرحمن الرحيم فيجعل الخدمة سببا لذلك يبلغ الى ما هنالك واما ليتعلم منهم تأويل الحكمة المتناولة من الحكيم ليكون ممزاحتهم بها عليم لتفيض عليه النعمة من المنعم قال بعض العلماء الخلق ثلاثة أنواع عالم وهو الشيخ ومتعلم وهو المريد وخادم وهو طالب الفضل عجز عن خدمة الحق حتى

خدم

خدم صالح الخلق وهذه شيبة العجوزة والهرم والشيبة والرابع ظالم في قيد الهوى محبوس
رأسه تحت أرجله منكوس أصم السمع عن الموعظة أعمى البصر أكمه مقدم الامل مؤخر
الاجل فهذه صفة الخارج الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يخدم ومعنى مع العارفين وهم الذين
عرفوا أنفسهم بنور ربهم انتقلوا من البداية الى التوسط مقامهم مقام التواضع والحفظ
لطلب الرقعة فيكون الشيخ الكامل المنتهي يتنزل لهم الى التوسط بالتواضع لله ولرسول
الله ويحفظ الجوارح والحواس الخمس فان هذا يلزم المبتدي يتوسط في المنتهي فلا
تصفو البدايه كل الصفاء الا بادامة معاينة الخوف من الله والرجاء واحتمال الاذى
والعفو عما مضى لتخلص السريرة وتصفو البصيرة ويلزم صاحب هذا الحال حفظ
الواردات عن الجاهل والمعاند وان علم الواردات لا يعرف الا على البديهات خفي على أهل
العبادات وأهل النقوشات فاحفظ أيها العارف حرمته وتواضع لله وان نلت هذا بيركته
وأخف مكاشفته على من لا يعرف قيمته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تؤتوا الحكمة غير
أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم * وقال لقمان الحكيم يا بني لا تقلد الحمار الدر والتبر
معناه لا تظهر العلم الدني عند من لا يفقهه فان الذي لا يفقه أشر من الحمار النهاق على الحقيقة
عند أهل المعروف ان لكل كلاما يليق به على ما يطابه ويقصده فعلى العاقل رد جواب
الكلام فيما يصلح ويناسب الاسلام وعلى ذلك نبه المصنف رضي الله عنه في المعاملة التي لا بد منها
التي لا تخرج من حد الشريعة وافشاء الكلام بالمعروف الذي لا يغير الطبيعة * قال رحمه
الله ونفع به (معاملة كل شئ بما يؤنسه ولا يوحشه) يعني من حيث الانس الذي لا يؤدي
الى الاضطرار ولا يؤدي الى وحشة وفرار واما وحشة الغرور فتؤدي بصاحبها الى الشرور
فلا يجب الانس لذلك لان قبول الباطل نفاق فمن كان لا يأنس الا بالباطل ففراقه أولى لان
من قامت فيه نفسه لا يأنس الا بما كان فيه نحسه وأما من كان يطلب الخير وينفي الشر
فانه بذلك واجب كما انه عامل طالب فهذا معنى المعاملة اللائقة التي لا تتخطى الحد الشرعي
* (تنبيه) * اعلم ان حسن الخلق في معاملة الخلق هو قلة ظلمهم وعدم الالتفات الى ما في أيديهم
والاكرام لهم بالموعظة من الحال وبذل المعروف لهم من المال واكرام العصاة الاعراض
عنهم بلطف غير فظيع والوعظ لهم ان قبلوا بحال غير شنيع لقوله سبحانه وتعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم أي اصفح واستغفر لهم أي استر ولا تفضح
وابذل المعروف وانصح وان لم تقبل النصيحة فاعرض عنهم ولا تعارضهم لقوله فاصفح الصفح
الجميل واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال صلى الله عليه وسلم ان حسن الخلق
يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجامد وان سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وان أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وقال جبريل عليه السلام يا محمد جئتك بمكارم
الاخلاق من ربك وتلا عليه الآية وقال كف عن ظلمك وأعط من حرمك واحسن
الى من أساء اليك ومعنى الحديث والخطاب مجموع في الآية خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين * ثم قال رضي الله عنه (فمع العلماء بحسن الاستماع والافتقار)
معنى العلماء هم العلماء بالله الذين كاشفهم عظمته وأذابت قلوبهم خشيته ان نطقوا هو

Digitized by Google

حق بحق الى حق وان صمتوا نفع الحق فخاطب الطالب بقوله نفع العلماء بحسن الاستماع أى لما يخرج من أفواههم من جوهر العلم المنضود المتناول من لدن المعبود ومعنى الافتقار اليهم هو الاحتياج لعلمهم لان الفاقة اليه داعية والضرورة اليه بادية لمن أراد طريق الرشاد ومنهج العباد وهذا هو العلم الذوقى المفيد الذى طلبه واجب على كل العبيد فالعالم به ملازمة له الخشية ومخبرة له الجلالة ومكاشفة له العظمة فهذا هو العالم حقا الذى يجب الاستماع منه والافتقار اليه كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتجالسوا عند عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الرهبة ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة انتهى الحديث ومعناه لازم شرعا وعقلا على من انتسب الى العلم ووجه آخر فى ذلك وهو أنه ربما قد يكون عالما على البديهة أميا فى الشريعة فان وجد أمى وعالم بالنقل وجب على الامى أن ينتزل له بالاستماع

هكذا بياض بالاصل فى الموضعين

وكذا الناقل يجب عليه ... يكفى فى العقل الوسى علم البديهيات ودقته

وعلى ذلك نبه المصنف رضى الله عنه بقوله (ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار) يعنى ان المعرفة بالله نسب وقربة من الحق سبحانه وتعالى لانه هو المتعرف الى من تعرف اليه والدليل لمن دل عليه فمقام العارف اذا هو مع العراف السكينة لقوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزداد وا ايمانا مع ايمانهم ومعنى الانتظار هو الى ما صدر منهم لرفعة بعضهم على بعض لقوله وفوق كل ذى علم عليم ويجب على الشيخ أن ينتزل من مقام الاستقامة الى مقام أهل المعرفة لان مقام العارف السير الى معرفة المعارف والكامل بالعكس ساكن واقف فيجب عليه مع العراف السير والانتظار لتجليات الواحد القهار لعل أسرارهم تطلق بسر الاسرار ۞ ثم قال رضى الله عنه (ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار) معنى المعيات المذكورات فيما سبق والآن هو التنزيل على التأويل أى يتنزل الشيخ من مقامه المفرد المعروف بمقام الشيوخية يتنزل الى مقامات والمقامات هى المراتب وان شئت قلت هى الاحوال والارواح وان شئت قلت هى الاسرار وبداية العقول فعلى الشيخ ان يتنزل مع أهلها لكل بما يليق به من التوحيد وغيره من المشاهد لان التوحيد عام وخاص والمشاهد كذلك فعام التوحيد باللسان وخاصه بالقلب وعامه بالقلب وخاصه بالروح وعامه بالروح وخاصه بالسر وعامه بالسر وخاصه باليقين وهو التوحيد الذاتى الذى ليس فيه حرف ولا صوت ولا نسبة لطيف ولا كثيف بل هو عيان بلا أين ومشهود بلا عين ومعنى الانكسار هو لاهل المقامات لينقلهم من مرتبة عامة الى مرتبة خاصة فينكسرون ويستغفرون لرفعهم من الحال الى الحال أو من العام الى الخاص على الترتيب كما تقدم فكلما ارتقيت من حال أو مقام يسمى عاما تحت بالنسبة لما فوقه خاصا على ما دونه بالنسبة لما دونه فافهم ذلك لتغنم وبالله التوفيق *(تنبيه)* فى تأويل التنزيل لمن كان يتنزل مع الفقراء ومع الصوفية ومع العارفين يؤنس كلا بما يليق به منهم ويتنزل مع العلماء ومع أهل المعرفة ومع أهل المقامات فهذه ست مقامات يتنزل اليها غير رتبة المعاملة فمن كانت حاله هذه فهو الشيخ الكامل القطب الغوث الفرد هذا بواب الدور السابع الذى يفرغ منه

Digitized by Google

النور الساطع فمن لم يقتد بهذا من أهل العقول والنقول صدم برأسه حجب الادوار وانقطع عن اتصال الانوار وارتدى الى شفا جرف هار لكن من ادعى هذا الحال العظيم والتنزيل القويم والنور العميم الذى منه كل الانوار مقتبسة ومنه كل الاحوال ملتمسة وهو مشتمل فهذا هو السر المحمدى المثاب على كل الاسرار الذى ببركته خلق الليل والنهار وخلقت الجنة والنار وببركته خلقت الارواح والاسرار وبه خلق القلم واللوح وجرى بقدرة الله على ما كان وما هو كائن بالامر الربانى المنفرد بالحكم الوحدانى فمن ادعى هذا يختبر بخمس عشرة كرامة ذكرها الشيخ القطب أبو الحسن الشاذلى نفع الله به وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركته ﷺ قال رضى الله عنه يبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش ويكشفه عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وما يثبت فيه وحكم ما قبل وما بعد وحكم ما لا قبل له ولا بعد وعلم البدو هو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم بدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه (قال) يبرز بمدد الرحمة معناه الرحمة التى هى من رحمة الرحيم التى قام العرش بها وقام كل شئ من الموجودات بها من أقصاها الى أدناها وهو أى الشيخ يبرز بها يعنى الرحمة لمن تجوز له من مؤمنى هذه الامة لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ولذلك ضد لم يذكره الشيخ أبو الحسن وهو سخط وغضب على الكافرين والمنافقين من جحد وكفر وعصى وتجبر وأدبر واستكبر فهو حجة عليهم لانهم لنفيهم الرحمة وقلة قبولهم لها فوقعت عليهم نقمة بعدما كانت رحمة وغضبا بعدما كانت رضا لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فانظر ما فى الآية من أن ضد الرحمة غضب على من يستحقه (ومعنى) العصمة هو من كل غير الله وما سواه أى لا يطلب غيره ويحفوظ من الصغائر والكبائر والخطرات الذميمة بمكاشفة عظمة الله فهذا هو العصمة الكاملة العامة المشتملة ومعنى العصمة يتعلق بما فى الآية فانك بأعيننا ومعنى النيابة هو على كل الأرواح بروحه الكامل وعلى كل الاسرار بسره الفاضل وعلى كل العقول بعقله التام المكمل بنور الربوبية وهذا هو السر الذى أنابه الحق عليه وجعله أبا الارواح قاطبة (ومعنى) الخلافة أى العدل بشريعته الشريفة العالية المنيفة لتنسخ بها كل الشرائع المتقدمة وتقوم الشريعة المحمدية بالخلافة والحكم المحمدى الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهذه الخلافة فى العالم الاشهادى وكذلك روحه صلى الله عليه وسلم خليفة الارواح فى العالم الروحانى (ومعنى) مدد حملة العرش أى مددهم من رحمة سره التى رحمهم الله بها من رحمانيته فمدد حملة العرش وغيرهم من نوره لان سره مستقبل الاسرار العارجة ومنه بدت وخرجت الاسرار النازلة فهذا عوثها وفردها (ومعنى) يكشفه عن حقيقة الذات أى كشفا بعلم يقين ومشاهدة لا مع وجود حصر واحاطة لان الحصر والاحاطة لا يجوزان على ذات مولانا جل وعز (ومعنى) واحاطة الصفات أى صفات الحدث بأسرها محيط عليها السر الكلى المحمدى كما انها منه بدت واليه تعود وان سبق الفهم الى صفات مولانا جل وعز أعنى صفات المعانى والصفات المعنوية فلا يجوز عليها الحصر

والاحاطة لانها قائمة بذاته العلية يجوز لها من التنزيه ما جاز للذات فهي أي الصفات المذكورات معلومات باليقين من غير احاطة بها وتشبيه وتعيين (ومعنى) يكرم بكرامة الحكم والفصل بين الوجود بن الحكم هو العلم الرباني المتناول بلا واسطة من الحق الى عنده ومعنى الوجودين هما العقل والجهل وان شئت قلت الظلمة والنور وان شئت قلت الروح والنفس وان شئت قلت الخصمان المتقاتلان والحكم بينهما شرعي وعقلي على ما أنزل الله (ومعنى) انفصال الاول العقل هو الاول كما قال كنت كنزا لم أعرف فاحببت ان أعرف فخلقت خلقا سميته أي قبضة من نوري فعرفوني فهو أي العقل أول منطبع وأول مخلوق في العوالم بأسرها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كما خص بالعقل والنور الرباني الذي كمل به وتنبأ به الذي الاشارة اليه بأنه عمدة النبوة قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وعنه كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين فجعله الله سبحانه وتعالى بحكمته البالغة محل سره الكامل في قنديل من ذهب معلق بالعرش يسبح الله قبل كون كل شئ وجعل من نوره نور كل نبي جليل ونور كل ولي نبيل ومن نوره نارت الجنان والسموات والارضون (ومعنى) قوله عن الاول الاول هو الله الذي لا ابتداء له ولا انتهاء الذي وجد بأمره أشرف موجود فأوليته سبحانه وتعالى لا ابتداء لها ولا طرق ولا انقطاع فهو الاول والآخر والظاهر والباطن * ومعنى آخر في الاولية قال ابن عباس رضي الله عنه أول ما خلق الله تعالى القلم خلقه من جوهرة حمراء طوله خمسمائة ذراع فأمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن الى يوم القيامة فلما سمع كلامه ارتعد وانشق نصفين فافهم معنى الانشقاق في القلم لان انشقاقه تعريف على يمين وشمال فيمينه يكتب لاهل اليمين ما يريده الله لهم من صفة الفضل وشماله يجري على أهل الشمال بما أراد الله عليهم من صفة العدل فلما استتم خلقه قال له الحق اكتب فقال ماذا اكتب قال اكتب لا اله الا الله محمد رسول الله فقال القلم من هذا الذي قرنت اسمه باسمك فقال الجليل جل جلاله الأدب يا قلم وعزتي وجلالي وارتفاعي في أعلى علو مكاني لولا محبة محمد صلى الله عليه وسلم ما خلقت قلما ولا لوحا ولا جنة ولا نارا ولا سماء ولا أرضا * ومعنى آخر في الاولية قال ابن عباس رضي الله عنه خلق الله جوهرة بيضاء قدر السموات والارض ثم نظر اليها فارتعدت وانذابت وصارت ماء بالقدرة وصار لها أمواج تتلاطم من خشية الله وارتعدت فصعد منها دخان فخلق من دخانها السموات وفتقها سبعا وجعل بين كل سماء وسماء خمسمائة عام ثم عمرها بالملائكة ثم خلق الله من زبدها الارض ومن أمواجها الجبال وهي متصلة بجبل قاف الذي هو محيط بالدنيا قال ابن عباس رضي الله عنه ثم ان الله تعالى نظر الى الارض وفتقها سبعا وجعل بين كل أرض وأرض خمسمائة عام وأسكن فيهن من الجان ما لا يعلمهم الا الله ثم نظر الى الارض السابعة فلم يكن لها قرار فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة ثم أمره أن يحمل الارض السابعة على منكبيه فامتثل الامر ومد يده اليمنى الى المشرق ويده اليسرى الى المغرب وقبض على أطرافها وحملها بقدرة الله تعالى والكلام في معاني الاولية طويل في ابتداء الخلق * ومعنى آخر في انفصال الاول عن الاول هو وجود روح آدم من روح النبي صلى الله عليه وسلم لانه أول بالروح وآدم أول بالشبوح فهذا جائز

على

على البديهة وان شئت قلت انفصال الكرسى عن العرش وان شئت قلت انفصال العرش عن السقف الاعظم فهذا جائز كله على البديهة ومابطن ماوراء ذلك الا الله فمن هنا تحسك العنان فماوراء الحجاب الا المحجب اذ لاحجاب بستره ولاظهور يظهره هو المحجب كما هو والظاهر كما هو فافهم (ومعنى) ماانفصل عنه الى صنفها ومابثبت فيه الانفصال هو انفصال كل العقول من عقله الكامل لانه بصرها وكمالها وكل الاسرار من سره الفاضل لانه سابق وأب لها وكل الارواح من روحه المشتمل وكل ملك مقرب وغيره من الروحانيين أرواحهم من روحه من أهل عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت ولذلك قال وانك لعلى خلق عظيم يعنى من حيث الاحاطة والعلم لامن حيث القسمة والجرم (ومعنى) مابثبت فيه أى أتى عنه فى السابق من حيث الارواح اتفق على ماريته فى اللاحق من حيث الاشباح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أرواح أمتى جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف ففى مافى الحديث اظهار مابثبت فى الائتلاف وانفصال مالايثبت فى الاختلاف * ومعنى آخر فيما يثبت فيه أى مابدا منه فى النبوة المتقدمة يعود اليه لانها أتت من نبوته وبرزت به وأنذرت الامم الماضية بنوره الذى اقتبست منه ثم قبضت وعادت اليه فظهر بها كاملة فهو صلى الله عليه وسلم فاتحها وخاتمها باذن الله تعالى بحكم قضائه وقدره السابق بجعله فاتح الوجود وختامه صلوات الله عليه وسلامه (ومعنى) حكم ماقبل ومابعد معنى ماقبل هو علم الربوبية من حيث وجود العرش والكرسى لقوله وسع كرسيه السموات والارض ولايؤده حفظهما وهو العلى العظيم وهو سبحانه منزه عنهما من المحالة والحاجة اليهما فدل على قدم العرش بقوله وكان عرشه على الماء وان شئت قلت اللوح والقلم وان شئت قلت العقل والارواح ومعنى مابعد هى الدنيا والآخرة لانهما حادثان بعد ذلك وكلاهما يطلق عليهما الحدوث لكن فى الحدث شئ قبل شئ وشئ بعد شئ من الوجود واما القدم الذى لانهاية له ولابداية له فانحصر به المعبود والدنيا والآخرة وكل مافى الوجود حادث بامر قدرته السابقة وحكمته البالغة ووجوده العميم وفضله العظيم فلقد أحسن البوصيرى حيث قال

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

(ومعنى) حكم ماقبل له ولابعد هذا لايصح اتصافه الا لمولا جل وعز لانه كان ولاشئ وهو الآن على ماعليه كان مع وجود الشئ والموجد الشئ هو الله لانه وجد بنفسه ولاوجد غيره ولذلك قال سبحانه وتعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر فهو سبحانه وتعالى لايسبقه سابق ولايلحقه لاحق بل هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فهو الاول لاقبل له والآخر لابعد له والظاهر أى مظهر الوجود والظاهر فيه من غير حلول سوى بالايجاد والاعدام والهدى والضلال والتقصير وغيره والباطن أى عمن الوجود من العطال من غير أن تكون فيه القدرة حالة (ومعنى) علم البدو وهو العالم المحيط بكل علم معنا بعلم البدو وهو السر الصمدى كما تقدم فهو سابق الاسرار وقاهرها ومحيطها وان شئت قلت العرش المجيد فان العالم بامره مقهور بعظمة العظيم وقهره محيطة به رحمانيته كما ان العرش محيط بكائناته فالعرش محيط بالكائنات ومحيطة به رحمانية

الذات (ومعنى) كل معلوم يبدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه معنى السر الاول هو سر النبي صلى الله عليه وسلم فالاسرار منه بدأت وبه هدأت والعقول من كمال عقله كملت حتى أبصرت وأقبلت وسمعت خطاب الله ووعت والارواح به ائتلفت حتى عرفت ووجدت والنفوس به زكت حتى تعبدت وما ادعت والقلوب به تطهرت حتى علمت وأخلصت فهو صلى الله عليه وسلم نور كل ما في العالم باسره ونوره من نور الله ويعود اليه ما بدا منه من كل شئ فسبحان من جعل ذلك كذلك ووقف الى ما هنالك فبذلك هدأ الناسك وهلك الهالك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة تمت الكرامات المذكورات معيار الشيخ أبي الحسن يعتبر بها من ادعى المشيخة الكاملة في النزول الذي ذكره الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى تم كتاب انس الوحيد ونزهة المريد من كلام سيدنا وشيخ مشايخنا الامام القطب العارف بالله شعيب بن عبد الحسن الشهير بابي مدين نفع الله به وبعلومه آمين وبقيامه تم شرحه المسمى بكتاب البيان والمزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد من أنفاس الشيخ العالم بالله وبأوامره الفقير الى الله الراجي المنكسر الخاشي شيخ المشايخ مبين معالم الطريقة بعد ان أطفأها حجاب النفوس فأشار بالاشارة الخارقة لمن وفقه الله من الاخوان حتى أظهر بها اليقين وأشرقت بها الشموس ووقعت به الارواح غائصة في بحار جلال الملك القدوس والاشباح عابدة بالاخلاص واضمحلت ظلمة النفوس والاسرار تلألأت أنوارها والنفوس خمدت نارها فظهر بفضل الله وبكرمه على لسان الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن نسبا والشافعي مذهبا والاشعري اعتقادا والشاذلي طريقة العالم الرباني بالعقل القامع والتكميل المحمدي من حيث الاسوة على حكم الاتباع والتأويل فاشرنا باشارة في هذا الشرح العظيم لنفي الوحدة والالحاد ولنفي اعتقاد القدرية والجبرية من أهل العناد وما وافق أهل الكتاب والسنة على التأويل والمراد قال وقد كنا نظهرها قبل ان نضع هذا الشرح ليفاد بها اخواننا فبعضهم وعى وبعضهم نفر وطغى كفلان وفلان فلما حررنا ميزان العقول المتفق على النقول بفضل من لا يحول ولا يزول أبت منه النفوس وولت شاردة حين أبطلنا اسنادها الى نفسها من حيث العلم والتحقيق والمراد والشك والوهم وغيره مما يأتي به الحق ويزول بحكم قدرته الى العباد فلما ادعت النفوس هذا ونسبته لها قلنا هذا اعتقاد القدرية الضلال فدرجت لنا في مدرجة أخرى للمجادلة مع أخذ هواها واتباع شهواتها وقالت هذا من الله ونسخت فعل القدرة الحادثة قلنا هذا اعتقاد الجبرية الجهال فجادلت وأتت ببدعة أخرى قالت الحق فيها وهي منسوخة عدم محض قلنا هذا مذهب أهل الوحدة والالحاد فلم تزل تخادع وبحيلها تقاطع حتى أبقت القدرة الحادثة وقالت هي ناشئة من القدرة القديمة فقلنا هذا مذهب الحشوية وأهل الحلول فلما ان تحققت هذه الاجوبة القاطعة خادعت وداهنت وتربصت وقالت الاجرام مخبئة من الحركات وغيرها فقلنا هذا مذهب العطال لان الاجرام لا تعرى من الحركة والسكون وان احتج أحد من أهل الجدال بقوله وبشر المخبتين فليس المفهوم من الآية العطال انما المفهوم اخبات الجوارح من المعاصي واخبات القلوب لا يعرفها شئ سوى الملك والخاطر الرباني فقد

سكن المالك عن النيات ويبقى الخاطر الرباني طالع بالجلالة نازل بقول هو فهذا آخر الحركات
ويضمحل خاطر النفس وخاطر الشيطان عن الرمي بعناية الرحمن خلافا لمن عطل وشبه ومثل
وحشا وحلل وأما خاطر الاخبات فخص به العقول المكملة دون الجبل لان الجبل وما طوى
فيه للحركات والعقل وكماله النظرات والمشاهدات فهذا حكم قطعي لانه قد يحتج بشيء وهو
مطلق وأما هذه الحجة فقطعية لا مطلقة في هذا المحل وغيره وأما من عطل الجسد عن الحركات
واحتج بقوله وبشر المخبتين فهو محجوج بما احتج به لان الاخبات في القلب وغيره عطال
إذ هو كل وجه فلو كانت القلوب قعرى لبطل قوله نزله على قلبك الآية ولبطل في الادلة
قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات فافهم فلما ان خصص عليه الحق وكشف بدعها
والحادها واتحادها وعطالها وحشوها وحلولها وات عن هذا نافرة كانها حمر مستنفرة
فرت من قسورة فاسال الله العظيم رب العرش العظيم ان يجعل هذا الشرح العظيم حجة
للعباد والزهاد والعراف وحجة اليوم وغير اليوم على أهل الالحاد والاتحاد وعلى أهل البدع
المختلة عن جادة الصواب وان يجعله خالصا لوجهه الكريم وبركة في البلاد ومعونة للعباد
بحق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذي أظهر الكرامة التامة الشاملة
العامة في بركة هذا الكتاب العظيم المعروف بانس الوحيد ونزهة المريد فقال الفقير الى
الله وجوده أحمد بن عبد القادر باعشن انني لم أسمع بذكر هذا الكتاب قط أعني أنس الوحيد قبل
أن كان ذات يوم من الايام اجتمعت باخ لي في الله أعلى الله درجاته في أعلى عليين وجعلهم من
أخص خواص عباده المقربين في الدنيا والدين أتاني على سبيل الزيارة ومع الاخ المذكور
كراريس مجموعة من انفاس السلف العظام فقرأ علينا الاخ كتاب أنس الوحيد للشيخ أبي
مدين فظهرت لنا في حال قراءته معان تحتاج لشرح يحل الفاظه لانه عويص المعنى فهممت
ان أضع لهشرحا يحل عقد الفاظه لتبيين معانيه العويصة فلما أن تمت القراءة أتى عكس ذلك ان
لا أضع لهشرحا لما وقع في نفسي من شغل تاليفه كما يقع في نفس المرء وخطر على خاطري من آفة
العجب والرياء ان يدخل فيه فعزمت عزما جازما على تركه فبينا انا في خلوة وانا غائب الحس عن
العالم الاشهادي حاضر الروح في العالم العقلي الروحاني بلا ذكر وبلا فكر في تلك الحالة المعروفة
لاهلها لانها أعظم الحالات التي لا يطلب أهل التوحيد عليها مزيدا فبقيت مستغرقا في ذلك
فاذا انا بثلاثة نفر قد تشكلوا في مرآة قلبي فاقبلوا علي وهم صباح الوجوه حسان الشباب
عليهم سيما الخير وأثر الدين واحد منهم راكب على ناقة عظيمة لم أر مثلها قط وواحد قائد لها
وواحد سائق لها فقربوا على السلام فقبلته ورددت لهم السلام فقلت من أنتم يا هؤلاء فقال
أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائد بلال والسائق أبو مدين ففرحت بهم فرحا شديدا فقلت
ما شأنكم فقالوا خيرا شاننا منك أن تشرح كتاب أبي مدين الذي هممت بشرحه ثم تركت فبقيت
متحيرا متفكرا في نفسي صامتا لم أقل شيأ وأنا في سري لم أرض بالنزول عن حالتي التي كنت فيها
التي هي حال المشاهدة المعروفة لخواص أهل المكاشفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك سكت أنت متوهم ان أحدا يقشبه على أمثالنا فقلت لا يا رسول الله والذي بعثك بالحق
نبيا ليس ذلك كذلك وانما خيرته يصالحني لم أرض أن أنزل من مقام المشاهدة الى مقام المكالمة أي

التأليف فقال صلى الله عليه وسلم أنا أسالك بالله ثلاث مرات يكررها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تشرح هذا الكتاب فاستحييت ان أخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يارسول الله السمع والطاعة ثم أطلقني الله بالسؤال له صلى الله عليه وسلم فقلت له ماهذه النا
فقال هذه العصباء فقلت ماشبهها في المثل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي شريعتي قلت
ماسمي القائد فقال هي النية فقلت ماسمي السائق فقال هي التبصرة فقلت ماسمي الراكب
فقال هي طريقتي الحالية فقلت ماسمي اللباس الذي هو شعاره فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي اسراري المعنوية فقلت وماسمي هذا التاج العظيم فقال عقلي الكامل
المخصوص بكل الفضائل ثم سألته سؤالا آخر بعد ذلك فقلت ماسمي قوائم هذه الناقة العظيمة
فقال هي الاربعة المذاهب فقلت ماعينها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشافعي وأبو
حنيفة فقلت وماشمالها فقال الحنبلي والمالكي ثم استقمت المسافة ولم يزل خيالهم مشكلا
مرآة قلبي حتى بدأت في خطبة الشرح وعزمت على الاعتماد فيه فاعانني الله عليه وأجرى
الحكمة من قلبي على لساني على ماأظهر فيه من المعاني وأشرت فيه الى بعض القواعد
والمباني على مااقتضته بديهة عقلي وعلمي فيه ربي وفوق كل ذي علم عليم ليس فوق ذو سعة
سعته ومن قدر عليه رزقه فليس فوق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله في التالية
الا أجرى عليها وعلها فان كان فيه شفاء الاوام وأعان المتدين على ثبوت الاقدام فهو
رسية من غير رام وان قصر في الاحكام ونبت فيه الملام فالعذر والصفح
من شيم الكرام فنسال الله الكريم رب العرش العظيم لي ولوالدي
ولجميع المسلمين العفو عما مضى والعصمة فيما بقي انه قريب
مجيب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم والحمد لله
رب العالمين

Digitized by Google

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Digitized by Google

32101 064293374

Digitized by Google